البريع

فِي

علم البديع

+

تَأْلِيفُ

يُوسُفَ الْمَسْعُودِ فوفورى

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله البديع، بديع السموات والأرض السميع الرفيع، أطبقها إيجابا وتسليبا، وأخفى الأوهام تقابلا وتقليبا، وأشكل راعٍ نظيرَه التشبيهَ، وأوهم توريته التنبيهَ، وأقرب ما ظهر ولم يرده، وأبعد ما خفى وإن لم يكده، تجريدا وترشيحا، وتوجيه وتشريحا، واستخدم نكتة المزاج على التناقض، تفريعا وجهه الإدماج لا للتباغض، فأطاعه عاص وعصاه طائع، وهو الغالب ولو عكس مستطرد، وما اختار فهو هو من غير تشكيك ولا إبهام.

حمد عبد أسلب حكم كلامه على التسليم، ونفى بإيجاب طرد عكسه كفؤا للعليم الحكيم، فيترقى به إلى وضوح عن تجاهل عارف، ويتباهى له على ابتداء في براعة غارف، حسن استهلال، من مطلع إجلال. وأخلص حسن خروجه على التقطيع، ومطلبه مع الإتباع، نسقا وتنسيقا، وبيانا وتفريقا، فانتهى خاتمته تذكر تعليلها، لزوما على ما لا يلزم من عليلها.

وأشهد أن لا إله إلا الله: شهادة من أجرد إلغازه كناية واكتفاءً، وتعرض توهيمه إحتراسا واجتراء، يوارب تشبيب رجوعه إلتفاتا، ويعترض ترجيع لف نشوره كان صوتا، فتقسيم جمعي تفريقا، هو تطريز طردي توشيعا.

وأردد وأكرر متأكدا أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، مستتبعا ألفة واختلافا، ومشتقا جملة واغترافا، فلا هجاء في عرضه يمدح تهكما، ولا هزل من جده يراد تعلما، فهو المنزه عن تغاير المبالغة، تذييلا وتحصيرا، وترتيلا وتدويرا.

شهدة عبد أقسم على الله تفويفه الكلام الجامع المبدع المتفنن، وأرسل تمثيله المشار القاصر المكمل المتبين.

والصلاة والسلام على معنى اللفظ المجانس في غير التجانس، التام المماثل أو مستوفي المجالس، مركب المضارعة ومجنب المضاربة، سيدنا محمد من ألحق الكفر نقصه وأطرف، وأذيل البغي حرفه وأصحف، وأقلب كله وبعض، وأجنح بصره وغض، واستوى الملة ملفقا تصحيفه مزدوجيا، وانجلى المحجة مقلبا إضماره مسترخيا، فأرصد سجعته، ووازن تجزءته، وعكس رد شكله، ووزع لون فصله، مملطيا وممطيا.

وعلى آله الخطوط التوأمة، والأخيف الأرقطة، والحلية العاطلة، والقطعة الواصلة، في التلمّع والتشريع، وأصحابه المقتبسة المودعة، والمتضمنة المستعينة، والواردة حلا وتعقيدا، وختما وتلميحا.

وبعد: يقول أبو الحسن يوسف المسعود فوفورى جلوا: إن من أحق العلوم بالتقديم وأجدرها بالاقتباس والتعلم والتعليم، بعد معرفة الله عز وجل، معرفة حقائق كلامه وفهم ما أنزل في الذكر الحكيم، لتؤمن غائلة الشك والتوهيم، وما في المعنى، ولا سبيل إلى ذلك إلا بمعرفة علم البلاغة وتوابعها من محاسن البديع اللتين بهما يعرف وجه إعجاز القرآن وصحة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، بالدليل والبرهان.

وهذا كتاب سميته: "البريع في علم البديع" ورحم الله رجلا وقف على عيب لي فأصلحه، واستغفر الله لأخيه، فإنما أنا بشر أخطئ وقد أصيب. فليس من ناقل خبر أو حامل أثر من السلف الماضين إلى زماننا وإن كان من أحفظ الناس توقيا وإتقانا لما يحفظ، إلا الغلط والسهو ممكن في حفظه ونقله. فكل من عثر على حرف أو معنى يجب تغييره، فنحن نناشده الله الله، ثم الله الله في إصلاحه وأداء حق النصيحة فيه، فإن الإنسان ضعيف لا يسلم من الخطأ إلا أن يعصمه الله بتوفيقه. وشريطتنا على قارئ كتابنا الإقتصار عن طلب خطئنا والصفح عما يقف عليه من إغفالنا، والتجاوز عما ينتهي إليه من إهمالنا، وإن أداه التصفح إلى صواب نشره، أو إلى خطأ ستره، لأنه قد تقدمنا بالإقرار ولا بد للإنسان من زلل وعثار، وليس كل الأدب عرفناه، ولا كل علم دريناه، وعلينا في ذلك الإجتهاد وإلى الله الرشاد، وقلّ ما نجا مؤلف لكتاب من راصد بمكيدة، أو باحث عن خطيئة. فلو عورض كتاب سبعين مرة لوجد فيه خطأ، أبى الله أن يكون كتاب صحيحا غير كتابه. فلا تكن يا أخي ممن إذا رأى صوابا أخفاه، وإذا وجد خطأ نادى عليه وأبداه، نعوذ بالله من قوم إذا سمعواْ خيرا أسرروه أو شرا أذاعوه، فإن الإنسان محل النسيان، وقد تهفو الأمجاد وقد يكبو الجواد، والمحب يمدح والعدو يقدح، فالفطن تكفيه الإشارة، ولا ينفع الحسود تطويل العبارة.

باب المبادئ

فصل: التاريخ: فالحق أن العلم قد مر بمراحل عديدة منذ أن اكتشفه الإمام وحتى اليوم، فكان ككرة الثلج، كلما دارت بها الأيام، كلما ازدادت بها ضخامة، شأن أي علم مستحدث، فقد تهافت العلماء والأدباء، على دراسته وتوسيعه وتبويبه، واختاروا لألوانه الأسماء الموحية.

فأولهم ابن المعتز: أفرده بدراسة مستقلة، وإن كانت لا تخلو من شوائب. وقد حدد ابن المعتز هدفه من التأليف بقوله: "قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن واللغة وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون "البديع" ليعلم أن بشارا، ومسلما وأبا نواس ومن تقيلهم، وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن، ولكنه كثر في أشعارهم، فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الإسم.

فابن المعتز ينفي سبق المحدثين إلى هذا الفن ولكنه يعترف بكثرته في أشعارهم. وهذا ما صرح به في نهاية مقدمته قائلا: "وإنما غرضنا في هذا الكتاب تعريف الناس أن المحدثين لم يسبقوا المتقدمين إلى شيء من أبواب البديع".

هذا: وقسم الكتاب إلى خمسة أبواب وما: الإستعارة والتجنيس والمطابقة والرد والمذهب، وانتهى إلى أن ضروبه محصورة في الأبواب، ولكنه رأى إضافة أي باب إليها ضرب من التعسف والمعاندة، أن "قد قدمنا أبواب البديع الخمسة وكمل عندنا، وكأني بالمعاند المغرم بالإعتراض على الفضائل قد قال: "البديع أكثر من هذا". ثم أضاف إلى هذي الأبواب مجموعة أخرى سماها: "محاسن الكلام والشعر". وبابها عنده مفتوح في نظره للإضافة والمخالفة. ومن أضاف من هذي المحاسن أو غيرها شيئا إلى البديع، وحسن الخروج من معنى إلى معنى، وتأكيد المدح بما يشبه الذم، وتجاهل العارف، والهزل الذي يراد به الجد، والتعريض والكناية، والإفراط في الصفة، وحسن التشبيه، وإعادت الشاعر نفسه في القوافي وتكلفه، وحسن الإبتداءات. والملاحظ أن المحدثين قد جعلوا الكثير من هذي المحاسن أبوابا من البديع.

هذا: والكتاب من أولى المحاولات الجادة في تدوين علم البديع، والعلوم لا تبدأ مكتملة بل هي تتكامل وتتماهى باطراد وتستقل بعد نضجها وصلابة عودها.

ثم قدامة بن جعفر المتوفى 337هـ: جاء بعده، فألف كتابا عنوانه "نقد الشعر" والذي يقع في ثلاثة فصول، أورد فيه سبعة وعشرين نوعا من العلم، اتفق فيها مع ابن المعتز في سبعة منها، وانفرد

بعشرين، وقد اختلفا أحيانا في التسمية، فما سماه قدامة "المبالغة" سماه ابن المعتز "الإفراط في الصفة" وما سماه "التكافؤ" سماه ابن المعتز "المطابقة" وما سماه "المطابق" و"المجانس" سماه ابن المعتز "التجنيس" واختلفا في دلالة الإلتفات.

قلت: والاختلاف في التسمية اختلاف لفظي لا معنوي، إذ كان التعريف هو هو، والشاهد أيضا هو هو، ومتى كان الأمر كذلك فلا غبارة في ذلك.

ثم أبو هلال العسكري، تلاهما في كتاب الصناعتين، والذي ابتكر فيه ستة أنواع من العلم، وأخرج منه أنواع رأى أنها تنضوي تحت بابي المعاني والبيان، فنحا العلم معه منحى متخصصا.

والستة هي: التشطير، والمحاورة، والتطريز، والمضاعف، والاستشهاد، والتلطف. وجاء العلم في الباب التاسع من الكتاب، وجعله على خمسة وثلاثين فصلا، وهي: الاستعارة والمجاز والتطبيق والتجنيس والمقابلة وصحة التقسيم وصحة التفسير والاشارة والإرداف والتوابع والمماثلة والغلو والمبالغة والكناية والتعريض والعكس والتبديل والترصيع والإيغال والترشيح ورد الأعجاز على الصدور والتكميل والتتميم والالتفات والاعتراض والرجوع وتجاهل العارف، والاستطراد، وجمع المؤتلف والمختلف، والسلب والايجاب، والاستثناء، والمذهب الكلامي، والتشطير والمحاورة والاستشهاد والاحتجاج والتعطف والمضاعف والتلطف.

هذا: وادعى العسكري أنه بذلك حصر العلم، منتهيا إلى رأي شبيه برأي ابن المعتز القائل: "إن الأقدمين عرفوا هذه الأنواع، وأن المحدثين أسرفوا فيها حتى اشتهروا بها". وقد صرح برأيه هذا قائلا: "فهذه أنواع البديع التي ادعى من لا رواية له ولا دراية عنده، أن المحدثين ابتكروها، وأن القدماء لم يعرفوها، وذلك لما أراد أن يفخم أمر المحدثين، لأن هذا النوع من الكلام إذا سلم من التكلف وبرئ من العيوب، كان في غاية الحسن ونهاية الجودة". ولقد توسع مفهوم العلم عند العسكري حتى بدا وكأنه مترادف مع البلاغة في مفهومها العام.

هذا: وأما الباقلاني: فذكر في إعجاز القرآن نحوا من خمسة وعشرين نوعا من العلم، منبها إلى أن وجوه البديع أكثر من ذلك، ولكنه لم يهدف في كتابه إلى إحصائها وذكرها جميعا.

ثم ابن رشيق القيرواني المتوفى 464هـ، وذكر في كتابه "العمدة" باب المخترع والبديع، مشيرا في ذلك إلى وفرة ضروب العلم، وقد وسعته قدرته على ذكر ثلاثة وثلاثين بابا منه، وما هي: المجاز

والاستعارة والتمثيل والمثل السائر والتشبيه والاشارة والتتبيع والتجنيس والترديد والتصوير والمطابقة والمقابلة والتقسيم والتفسير والاستطراد والتفريع والالتفات والاستثناء والتتميم والمبالغة والايغال والغلو والتشكيك والحشو وفضول الكلام والاستدعاء والتكرار ونفي الشيء بإيجابه والاطراد والتضمين والاجارة والاتساع والاشتراك والتغاير.

ثم عبد القادر الجرجاني المتوفى 471هـ، ثم الزمخشري المتوفى 538هـ، ثم رشيد الدين العمري المتوفى 573هـ.

ثم أسامة بن منقذ المتوفى 584هـ، ومن اتسع معه مفهوم العلم كثيرا، في كتاب "البديع في نقد الشعر" حيث يندرج تحته خمسة وتسعون نوعا من العلم على غير تمييز بين البيان والعلم نفسه والمعاني، حتى ليكاد أن يصح فيه ما قاله ابن أبي الإصبع: "وإذا وصلت إلى بديع ابن منقذ وصلت إلى الخبط والفساد العظيم، والجمع بين أشتات الخطأ وأنواعه من التوارد والتداخل، وضم غير البديع والمحاسن، كأنواع من العيوب، وأصناف من السرقات".

هذا: فمن راجع الكتاب فهرس موضوعاته يجد عناوين جديدة لا يجدها في غيره من كتب البديع، نحو: باب النادر والبارد، وباب الرشاقة والجهامة، وما في المعنى.

ثم ابن الأثير المتوفى 637هـ. ثم زكي الدين بن أبي الإصبع المتوفى 654هـ، وبلغ في كتابه "تحرير التحبير" مائة وثلاثة وعشرين نوعا من العلم، جمعها من بديع ابن المعتز ونقد قدامة، حيث أخذ من الأول سبعة عشر نوعا، ومن الثاني ثلاثة عشر، وعد الجميع أصولا، ثم جمع ستين نوعا، وعدها فروعا مضيفا إلى هذي الفروع والأصول ثلاثين نوعا حتى بلغ بذلك مجموع أنواعه العدد.

هذا: وابن أبي الإصبع: جمع إلى الكلام على أنواع لا علاقة لها بالعلم، بل هي من النقد أقرب وبخاصة ما يتلعق منها بالنقد.

ثم علي بن عثمان الأربلي المتوفى 670هـ. ثم صفي الدين الحلي المتوفى 750هـ، فإنه نظم بديعية تقع في مائة وخمسة وأربعين بيتا. ثم أحمد بن علي الضرير المتوفى 780هـ. ثم عز الدين الموصلي المتوفى 789هـ، ونظم بديعيته على تساوي بديعية الحلي تعدادها.

ثم تقي الدين بن حجة الحموي المتوفى 837هـ، ونظم بديعيته في مائة واثنين وأربعين بيتا، وفي كل بيت من أبيات هذي البديعيات ذكر لغرض بلاغي أو أكثر.

ثم عائشة بنت يوسف الباعوني المتوفاة 922هـ. ثم صدر الدين الحسيني المتوفى 1117هـ. الشيخ عبد الغني النابلسي المتوفى 1113هـ.ثم كثير وكثير.

وفي العصر الحديثي أصحاب البديعيات وأشهرهم أحمد البربير البيروتي المتوفى 1226هـ. ثم الشاعر محمود الزيلع المعروف بالساعاتي المتوفى 1268هـ. وليس الشيخ طاهر الجزائري المتوفى 1341هـ، آخر القوم.

فالعلم علم دراية لا علم رواية، فممكن تماديه في تكاثر وتزايد أبوابه لدى مخترعيه، ما دامت الطبيعة سليمة.

فصل: والسكاكي: هو أول من نحا منحى التحديد والتخصيص بالعلم، والذي عده النقاد رأس مدرسة التقنين في كتابه مفتاح العلوم حيث قسم فيه أبواب البديع قسمين، أولهما عنوانه: ما يرجع إلى المعنى ويشمل: المطابقة والمقابلة والمشاكلة ومراعاة النظير والمزاوجة، واللف والنشر، والجمع والتفريق والتقسيم والجمع مع التفريق والجمع مع التقسيم والجمع مع التفريق والتقسيم والايهام وتأكيد المدح بما يشبه الذم، والتوجيه وسوق المعلوم مساق غيره، والاعتراض، والاستتباع والالتفات وتقليل اللفظ.

وثانيهما عنوانه ما يرجع إلى اللفظ ويتضمن التجنيس ورد العجز على الصدر والقلب والأسجاع والترصيع.

فصل: ومفهوم العلم في التراث البلاغي والنقدي عند العرب، على مرحلتين مر بهما، وهما مرحلة قبل القرن السابع للهجرة، ومرحلة ما بعده.

ففي المرحلة الأولى بقي العلم عنوانه، محافظا على الدلالة المعجمية التي وجهت إلى معنى الحديث والجديد والمخترع، وعندها اندرجت أغلب فنون البلاغة تحت هذا المسمى، وليس ذلك فحسب، وإنما أصبح يطلق على كل ما هو لافت للتنبه، وقادر على التأثير من استعمال الصور البيانية والمحسنات اللفظية الشكلية والمعنوية، والميل بالمعاني القديمة إلى وجهة جديدة من الاستعمال مغايرة لما جرى عليه العرب، فالبديع يعني التجديد بصفة عامة، سواء أكان التجديد في الصياغة، أم في المعاني أو تحسينها، ولذلك تزاحمت مع "البديع" ألفاظ أخر من قبيل: بليغ وجميل وما في المعنى.

فصل: ويعد الجاحظ {ت 255هـ}، من أول من وردت عنه لفظة "البديع" على المستطرف الجديد من الفنون الشعرية، قال: "ومن الخطباء الشعراء ممن كان يجمع الخطابة والشعر الجيد والرسائل

الفاخرة مع البيان الحسن: ككلثوم بن عمرو العتابي، وكنيته أبو عمرو، وعلى ألفاظه وحذوه مثاله في البديع يقول جميع من يتكلف مثل ذلك من شعراء المولدين نحو منصور النمري، ومسلم بن الوليد الأنصاري وأشباههما، وكان العتابي يحتذي حذو بشار في البديع، ولم يكن في المولدين أصوب بديعا من بشار وابن هرمة". ووردت اللفظة أيضا في تعقيبه على الأشهب بن رميلة قوله:

هم ساعد الدهر الذي يتقى به + وما خير كف لا تنوء بساعد

قال: "وقوله: "هم ساعد الدهر" إنما هو مثل، وهذا الذي تسميه الرواة البديع".

فصل: فكتب العلم: منها: كتاب البديع لأبي العباس عبد الله ابن المعتز. ونقد الشعراء لقدامة بن جعفر. وكتاب الصناعتين. وكتاب الكتابة والشعر كلاهما للعسكري، والعمدة للقيرواني. وكتابي: أسرار البلاغة. ودلائل الإعجاز للجرجاني. والكشّاف للزمخشري. وحدائق السحر في دقائق الشعر، للوطواط العمري. والبديع في نقد الشعر لابن منقذ. والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. وبديع القرآن لابن إصبع. وبديعية الأربلي للأربلي نفسه. والكافية البديعية في المدائح النبوية للحلي. والحلة السيرة في مدح خير الورى للضرير. والفتح المبين في مدح الأمين لعائشة الباعوني. ونسمات الأسحار في مدح النبي المختار للنابلسي. ومقامات البربير، للبربير نفسه. والشفاء في بديع الإكتفاء: تأليف العلامة شمس الدين محمد النواجي الشافعي. والبديع في علم البديع تأليف: يحي بن معطي.

فصل: مناهج تأليفهم: فلما كان بين العلم والبيان تداخل عظيم، أو أن العلم من البيان انفرد، كان من الاضطراب بين بعض أبواب العلمين، ما كان في كتب كثير من القوم، فمن علماء البيان من ذكر في مصنفاته أبوابا وعدها من البيان نفسه، ومنهم من عد تلك الأبواب بعينها من العلم البديع، ويعلل ذلك بأن تلك الأبواب ليست مقصورة على خصائص لفظية فحسب أو معنوية فحسب، بل ما من باب فيها إلا وله تعلق باللفظ والمعنى.

ومن يرى أن من القوم من سمى أنواعا أخرى على سبيل التكرار لأسماء المعنى الواحد، فيرى أن فيما زادوه تزايدا وتكرارا من دون ضرورة، وأن كثيرا من الأبواب الزائدة تتصل بعضها ببعض بوشائج، وكثيرا من التفريعات لا ضرورة لها، فيضم المتشابه، ويتغاضى عن التفريعات، فمن يضم بين الطباق والمقابلة والتكافؤ، ومن يفصل بينها، ويفرع الطباق إلى أنواع.

هذا: وممكن إيجاد من يضم بين: المشاكلة والمراعاة والتشابه، وبين إيهام التناسب والتورية والإستخدام، وبين الطاعة والعصيان والتغليب، وبين التشكيك والإبهام، وبين الأسلوب والمذهب والتسليم، وبين النفي والطرد والعكس، وبين الترقي والسلب والإيجاب، وبين المرتبطات في نفسها، وبين التوهيم والإحتراس والمواربة، وبين الرجوع والإلتفات والإعتراض والمراجعة، وبين اللف والنشر والتقسيم والجمع وما في معناها، وبين التطريز والتوشيع والترديد والتكرير، وبين التأكيد وما في معناه والاستتباع، والجمع والاشتقاق والهجو في معرض المدح، والتهكم والهزل المراد والنزاهة والمغايرة والمبالغة، وبين الكلام الجامع والإبداع والإفتنان والإرسال والإشارة والتتميم، وبين الجناس والتصحيف والإزدواج والقلب والإرصاد، وبين السجع والموازنة والتجزئة والعكس والتصدير والتشكيل والتوزيع والتلوين والتفصيل والتمليط، وبين الخطية في نفسها، والسرقية في نفسها أيضا، وهذا كله غير بعيد ولا مستبعد وجوده ولا إيجاده.

وذلك: أن الطاعة والعصيان مصطلحان في مصطلح واحد وفي حكمين، وكذلك نفي الشيء بإيجاب مصطلح واحد في حكمين، والطرد والعكس مصطلحان في مصطلح واحد وفي حكمين، وكذلك الترقي مصطلح واحد في حكمين، والسلب والإيجاب مصطلحان في حكمين، واللف والنشر مصطلحان في مصطلح واحد وفي حكمين، ومثل اللف والنشر: "والجمع والتقسيم" و"الجمع والتفريق"، وثلاثة في مصطلح واحد في ثلاثة أحكام: "الجمع والتفريق والتقسيم"، وجمع المؤتلف والمختلف مصطلحان في مصطلح واحد وفي حكمين، ومن جعل الحل والعقد المصطلحين، مصطلحا واحدا، في حكمين.

هذا: ثم وكثير من القوم لا سيما أصحاب البديعيات، لا يهمه الاستشهاد في كتبهم، ومن همه ذلك، فأكثرهم يستشهد بالخطب وبالرسائل وأغلب الناس بالأبيات، بين قلّ من يستشهد بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة.

ومن حق التآليفات أن تكون مسوقة على حسب إدراك زمانها، وبمقتضى ما تدعوهم إليه الحاجة منها.

فمتى كانت الخواطر ثاقبة، والأفهام للمراد من كتب متناولة، وقام الإختصار لها مقام الإكثار وغنيت بالتلويح عن التصريح.

فأما إذا كانت البصائر قد صدئت والهمم عن نيل الفضائل قد ونت، فلا بد من كشف وبيان وإيضاح وبرهان ينبه الذاهل ويستفز الجاهل.

فصل: ومصطلحات العلم: وما هي على ترتيب الكتاب هذا: الطباق أو التطبيق، أو التطابق أو التضاد، أو المطابقة، أو التكافؤ. والمقابلة. والمشاكلة. ومراعاة النظير، أو المراعاة، أو التناسب، أو الائتلاف، أو التوفيق، أو المؤاخاة. وتشابه الأطراف، أو التشابه، أو التطريف. وإيهام التناسب، أو الإيهام. والتورية، أو الإيهام، أو التوجيه، أو التخيير، أو التخييل، أو المغالطة. والاستخدام. والتنكيت. والمزاوجة. والمناقضة. والتفريع. والتوجيه. والإدماج. والطاعة والعصيان. والتغليب. والاستطراد. والتخيير. والتشكيك. والابهام. وأسلوب الحكيم، أو الأسلوب، أو اللغز في الجوب، أو القول بالموجب. والمذهب الكلامي، أو المذهب. والتسليم. ونفي الشيء بإيجابه، أو النفي. وعكس الظاهر: وتأنيث المذكر: أو التأنيث. وتذكير المؤنث: أو التذكير. وتصور معنى الواحد للجماعة، أو التصور. وتصور معنى الجماعة للواحد. وتقدم المفعول على الفعل، أو التقدم. وتقديم الظرف على المظروف، أو التقديم. وتقديم المظروف على الظرف. وجعل الخبر على المبتدإ، أو الجعل. وتقديم الأكثر على الأقل. والطرد والعكس. والترقي، أو أسلوب الترقي. والسلب والإيجاب. والإيضاح. وتجاهل العارف، أو التجاهل، أو سوق المعلوم مساق غيره لنكتة، أو السوق. وبراعة الاستهلال، أو البراعة، أو حسن الابتداء، أو حسن الإبتداءات، أو حسن الافتتاح، أو براعة المطلع عند قوم، أو حسن الابتداء الأصل، وبراعة الاستهلال الفرع. والتخلص. وحسن الخروج، أو الإستطراد، أو حسن التخلص، أو براعة التخلص. وبراعة المقطع. وبراعة الطلب. وحسن الإتباع. وحسن التنسيق، أو حسن النسق، أو التنسيق. وحسن البيان. وبراعة الختام، أو براعة الخاتمة، أو براعة الإختتام، أو براعة الإنتهاء، أو حسن الختام، أو حسن الخاتمة، أو حسن الاختتام، أو حسن الانتهاء، أو براعة المقطع، أو حسن المقطع. وذكر التعليل، أو براعة التعليل. وحسن التعليل. ولزوم ما لا يلزم، أو اللزوم، أو الالتزام، أو الإعنات، أو التضييق، أو التشديد. والتجريد. والإلغاز. والكناية. والإكتفاء. والتعريض. والتوهيم. والإحتراس. والمواربة. والتشبيب. والرجوع. والإلتفات، أو الانصراف. والاعتراض. والمراجعة، أو السؤال والجواب، أو الحكاية. واللف والنشر، أو الطي والنشر. والتقسيم. والجمع. والتفريق. والجمع مع التقسيم. والجمع مع التفريق. والجمع مع التفريق والتقسيم. والتطريز. والاطراد. والتوشيع. والترديد. والتكرير. وتأكيد المدح بما يشبه الذم، أو التأكيد، أو

الإستثناء، أو المدح في معرض الذم، أو النفي والجحود. وتأكيد الشيء بما يشبه نقيضه. وتأكيد الذم بما يشبه المدح. والاستتباع، أو المضاعف، أو التعليق، أو الموجه. وجمع المؤتلف والمختلف، أو الجمع. والإشتقاق. والهجو في معرض المدح. والتهكم. والهزل الذي يراد به الجد، أو الهزل المراد. والنزاهة. والمغايرة. والمبالغة. والتذييل. وحصر الجزئي وإلحاقه بالكلي، أو الحصر. والقَسم. والتفويف. والكلام الجامع. والإبداع. والإفتنان. وإرسال المثل، أو الإرسال. والإشارة. والتتميم. وهذي التي للمعنوية وهي ثمانية وتسعون. ثم هذه التي للفظية: الجناس أو التجنيس أو المجانسة أو التجانس أو المماثلة. والتصحيف. والإزدواج. والقلب، أو المقلوب والمستوي، أو مقلوب الكل، أو ما لايستحيل بالانعكاس. والإرصاد، أو التوشيح، أو التبيين، أو التسهيم، أو المطمع. والسجع. والموازنة. والتجزئة. والعكس. والتصدير، أو رد العجز على الصدر، أو الرد. والتشكيل. والتوزيع. والتلوين. والتفصيل. والتمليط. وهذي التي للفظية وهي خمسة عشر. وثم التي للخطية وهي هذه: التوأّم. والتخييف. والإرقاط. والتحلي. والتعاطل. والتقطيع. والتوصيل. والتلمّع. والتشريع، أو الترشيح، أو التوأم. وهذي التي للخطية وهي تسعة. وثم التي للسرقات وهي هذه: الإقتباس. والايداع. والاستعانة. وحسن التضمين. والمواردة، أو التوارد. والعِقد. والحل. والتلميح. وهي ثمانية.

فالمصطلحات كلها في الكتاب، وما هي الأنواع والألوان: ثمانية وتسعون للمعنوية، وخمسة عشر للفظية، وتسعة للخطية، وثمانية للسرقات، فالجملة مائة وثلاثون مصطلحا.

هذا: ثم والمصطلحات هذه التي في العناوين، والتي أيضا ذات التلوين والتبويب، وما التي قد يكون منها جنس تحته أنواع، والأنواع بنفسها مصطلحات، فلم أعتبرها هنا في هذه.

ثم والمصطلحات هي أبواب العلم وألوانه وأنواع، لا أبواب الكتاب هذا. وقد عدها غير واحد منهم إلى فوق ذلك، فمن أنهاها إلى نحو من مائة وأربعين مصطلحا، ومن أقصاها إلى نحو من مائة وستين مصطلحا، وقد يوجد من وراء ذلك أكثر.

فصل: ومنهجي في الكتاب لتتابع العلم موضوعاته الأساسية الرئيسية الأصلية، أحدده، ما وإن لم أحدد فإنه وضيح، إذ بنيته على أمثال أصحابها سبقوني، ولم يكن الكتاب أقرب إلى شرح لمصدر، وما فيه مما ليس من صلب العلم: فقد أوردته على وجه من وجوه العلم، وجعلت الكتاب: على مقدمة، وخمسة أبواب: وهي: باب المبادئ، وباب المعنوية، وباب اللفظية، وباب الخطية، والسرقات.

ثم المبادئ: أربعة وعشرون فصلا، وهي على الترتيب: فصل: التاريخ: وفصل: والسكاكي: وفصل: ومفهوم العلم في التراث البلاغي والنقدي عند العرب: وفصل: ويعد الجاحظ: وفصل: فكتب العلم: وفصل: مناهج تأليفهم: وفصل: ومصطلحات العلم: وفصل: ومنهجي في الكتاب: وفصل: وكتب العلم بالنسبة لعنوان العلم ما: (البديع) في عنوانها: وفصل: الإسم: وفصل: واضعه: وفصل: الموضوع: وفصل: الاستمداد: وفصل: المسائل: وفصل: وتعريفه: وفصل: التلخيص: وفصل: التقسيم: وفصل: الحكم: وفصل: المنزلة: وفصل: الإنفراد: وفصل: غايته: وفصل: الفائدة: وفصل: أئمة العلم: وفصل: مصادر الكتاب.

والمعنوية: مائة وسبعة فصول، وهي على الترتيب: فصل: ويتضمن الباب: وفصل: الطباق أو التطبيق، أو التطابق أو التضاد، أو المطابقة، أو التكافؤ: وفصل: ومطابقة الإيجاب: وفصل: ومطابقة السلب: وفصل: والطباق الخفي: وفصل: والطباق الوهمي: وفصل: بلاغة المطابقة: وفصل: المقابلة: وفصل: بلاغة المقابلة: وفصل: المشاكلة: وفصل: مراعاة النظير: أو التناسب أو الائتلاف أو التوفيق أو المؤاخاة: وفصل: ومن الباب تشابه الأطراف: وفصل: ومن الباب أيضا: إيهام التناسب: وفصل: التورية أو الإيهام أو التوجيه أو التخيير أو التخييل أو المغالطة: وفصل: الاستخدام: وفصل: التنكيت: وفصل: المزاوجة: وفصل: المناقضة: وفصل: التفريع: وفصل: التوجيه: وفصل: الإدماج: وفصل: الطاعة والعصيان: وفصل: التغليب: وفصل: الإستطراد: وفصل: التخيير: وفصل: التشكيك: وفصل: الإبهام: وفصل: أسلوب الحكيم: أو اللغز في الجوب: أو القول بالموجب: وفصل: المذهب الكلامي: وفصل: التسليم: وفصل: نفي الشيء بإيجابه: وفصل: عكس الظاهر: وفصل: تأنيث المذكر: أو التأنيث وفصل: تذكير المؤنث: أو التذكير: وفصل: تصور معنى الواحد للجماعة: أو التصور: وفصل: تصور معنى الجماعة للواحد: وفصل: تقدم المفعول على الفعل: أو التقدم: وفصل: تقديم الظرف على المظروف: أو التقديم: وفصل: تقديم المظروف على الظرف: وفصل: جعل الخبر على المبتدإ، أو الجعل: وفصل: تقديم الأكثر على الأقل: وفصل: الطرد والعكس: وفصل: الترقي: أو أسلوب الترقي: وفصل: السلب والإيجاب: وفصل: الإيضاح: وفصل: تجاهل العارف: أو سوق المعلوم مساق غيره لنكتة: وفصل: براعة الاستهلال: أو حسن الابتداء: أو حسن الإبتداءات: أو حسن الافتتاح: أو براعة المطلع: عند قوم: أو حسن الابتداء الأصل، وبراعة الاستهلال الفرع. وفصل: التخلص: وفصل: حسن الخروج: أو

الإستطراد، أو حسن التخلص: أو براعة التخلص. وفصل: براعة المقطع: وفصل: براعة الطلب: وفصل: حسن الإتباع: وفصل: حسن التنسيق: أو حسن النسق: أو التنسيق: وفصل: حسن البيان: وفصل: براعة الختام أو براعة الخاتمة أو براعة الإختتام أو براعة الإنتهاء، أو حسن الختام أو حسن الخاتمة أو حسن الاختتام أو حسن الانتهاء أو براعة المقطع أو حسن المقطع: وفصل: ذكر التعليل: أو براعة التعليل: وفصل: حسن التعليل: وفصل: لزوم ما لا يلزم: أو الالتزام: أو الإعنات: أو التضييق: أو التشديد: وفصل: التجريد: وفصل: الإلغاز: وفصل: الكناية: وفصل: الإكتفاء: وفصل: التعريض: وفصل: التوهيم: وفصل: الإحتراس: وفصل: المواربة: وفصل: التشبيب: وفصل: الرجوع: وفصل: الإلتفات: أو الانصراف: وفصل: الاعتراض: وفصل: المراجعة: أو السؤال والجواب: وفصل: اللف والنشر: أو الطي والنشر: وفصل: ومن بديع الباب وفصل: التقسيم: وفصل: الجمع: وفصل: التفريق: وفصل: الجمع مع التقسيم: وفصل: الجمع مع التفريق: وفصل: الجمع مع التفريق والتقسيم: وفصل: التطريز: وفصل: الاطراد: وفصل: التوشيع: وفصل: الترديد: وفصل: التكرير: وفصل: تأكيد المدح بما يشبه الذم: أو الإستثناء: أو المدح في معرض الذم: أو النفي والجحود: وفصل: تأكيد الشيء بما يشبه نقيضه. وفصل: تأكيد الذم بما يشبه المدح: وفصل: الاستتباع: أو المضاعف: أو التعليق: أو الموجه: وفصل: جمع المؤتلف والمختلف: وفصل: الإشتقاق: وفصل: الهجو في معرض المدح: وفصل: التهكم: وفصل: الهزل يراد به الجد: وفصل: النزاهة: وفصل: المغايرة: وفصل: المبالغة: وفصل: والغلو منه ما هو مقبول وما هو مردود: وفصل: التذييل: وفصل: حصر الجزئي وإلحاقه بالكلي: وفصل: القَسم: وفصل: التفويف: وفصل: الكلام الجامع: وفصل: الإبداع: وفصل: الإفتنان: وفصل: إرسال المثل: أو الإرسال: وفصل: الإشارة: وفصل: التتميم.

واللفظية: أربعة وعشرون فصلا، وهي على الترتيب: وفصل: ويتضمن الباب: وفصل: الجناس أو التجنيس أو المجانسة أو التجانس أو المماثلة: وفصل: الجناس اللفظي: وفصل: "الجناس الملفق": وفصل: التصحيف: وفصل: الإزدواج: وفصل: والجناس المعنوي: وفصل: إذا دخل الجناس نفي عد طباقا: وفصل: القلب: أو المقلوب والمستوي: أو مقلوب الكل: أو ما لايستحيل بالانعكاس: وفصل: الإرصاد: أو التوشيح: أو التبيين: أو التسهيم: أو المطمع: وفصل: السجع: وفصل: وأحسن السجع وأشرفه: وفصل: والسجع طويل وقصير: وفصل: والسجع يبنى على سكون الأعجاز: وفصل: الموازنة: وفصل:

التجزئة: وفصل: العكس: وفصل: التصدير، أو رد العجز على الصدر: وفصل: والتصدير يرد في النثر وفي الشعر على السواء: وفصل: التشكيل: وفصل: التوزيع: وفصل: التلوين: وفصل: التفصيل: وفصل: التمليط.

والخطية: تسعة فصول: وهي على الترتيب: فصل: التوأّم: وفصل: التخييف: وفصل: الإرقاط: وفصل: التحلي: وفصل: التعاطل: وفصل: التقطيع: وفصل: التوصيل: وفصل: التلمّع: وفصل: التشريع: أو الترشيح: أو التوأم.

والسرقات: تسعة فصول أيضا: وهي على الترتيب: فصل: والباب باب متسع جدا: وفصل: الإقتباس: وفصل: الايداع: وفصل: الاستعانة: وفصل: حسن التضمين: وفصل: المواردة، أو التوارد: وفصل: العِقد: وفصل: الحل: وفصل: التلميح: فجلمة الفصول في الكتاب مائة وثلاثة وسبعين فصلا.

وهذي الأبواب إنما هي بالنسبة للكتاب، وإلا فالأنواع وما التي هي الألوان هي أبواب العلم، وما أكثر مصطلحاته.

فصل: وكتب العلم بالنسبة لعنوان العلم ما: (البديع) في عنوانها: تنقسم إلى قسمين:-

الأول: ما كانت بعنوان البلاغة وفنونها الثلاثة، والثاني: ما كانت بعنوان العلم نفسه. هذا: وقد تجيء بعنوان غير هذا، كما هو معلوم.

فصل: الإسم: وإسم العلم "علم البديع"، وإنما سمي بذلك لأن الكلمة تأتي في الكناية والاستعارة والتشبيه والارداف والاشارة لشيء لم يوضع له في أصل اللغة، فكأنها ابتدعت لذلك الموضع، لا لأن المحدثين كما ظن قوم، ابتدعوه وفازوا بالسبق إليه واخترعوه.

ويدل على ذلك أن أكثر العلم أبوابه وجميعه موجود في القرآن الكريم، وفي الحديث النبوي الشريف، وفي الأولين من البلغاء والخطباء والشعراء.

فصل: واضعه: ويقال إن أول من وضع العلم: عبد الله بن المعتز العباسي المتوفي 374هـ، واستقصى ما في الشعر من المحسنات في كتابه "البديع" سبعة عشر نوعا، وما قال فيه: "ما جمع قبلي فنون البديع أحد، ولا سبقني إلى تأليفه مؤلف، ومن رأى إضافة شيء من المحاسن إليه اختياره".

هذا: فالعلم ليس من اختراع المتقدمين، فهو موجود في الشعر العربي طبعا وسليقة، وفي أقوال المتحدثين والكُتّاب المتقدمين والمتأخرين، فالمحدثون لم يسبقوا المتقدمين إلى شيء من البديع إلا ما هو قليل.

قال السيوطي: عن العلم "أول من اخترع ذلك ابن المعتز".

فصل: الموضوع: وموضوع العلم: اللفظ العربي من حيث التحسين والتزيين العرضيين بعد تكميل دائرتي الفصاحة والبلاغة. أو اللفظ البليغ من حيث أن له توابع.

فصل: الاستمداد: ويستمد العلم من خطب ورسائل وأشعار العرب العرباء وغيرها من المتحلية بالصنائع البديعية.

فصل: المسـائل: ومسائل العلم: القواعد المعنوية واللفظية والخطية، الكلية والجزئية، التي تحكم بين: الإئتلاف والإختلاف، والإيهام والإيضاح، والتشابه والتغاير، والطرد والعكس، والطاعة والعصيان، والسلب والإيجاب، والحسن والقبح، والجمع والتفريق، والهزل والجد، والتوزيع والإزدواج، والتقطيع والتوصيل، والعقد والحل، والتخيير والترجيح، والتفنن والإبداع، وما في المعنى.

فصل: وتعريفه: أنه علم يعرف به الوجوه المزايا التي تكسب الكلام حسنا وقبولا بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال التي يورد فيها، ووضوح الدلالة على ما عرفت في العلمين السايقين.

وقال القزويني في التلخيص: هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة.

وقال ابن خلدون: هو النظر في تزيين الكلام وتحسينه بنوع من التنميق: إما بشجع يفصله، أو تجنيس يشابه بين ألفاظه، أو ترصيع يقطع أوزانه، أو تورية عن المعنى المقصود بإيهام معنى أخفى منه، لاشتراك اللفظ بينهما، أو طباق بالتقابل بين الأضداد، وأمثال ذلك.

وقال الجرجاني: "علم البديع: علم يعرف منه وجوه تحسين الكلام، باعتبار نسبة بعض أجزائه إلى بعض، بغير الاسناد والتعلق، مع رعاية أسباب البلاغة".

هذا: وتحديد أكثر مصطلحات العلم، لا يخلو من الأخطاء اللفظية، ولا مما في المعنى.

فصل: التلخيص: ويلخص العلم من حيث الموضوع في المعنى واللفظ والخط. والسرقات. ويقدم المعنى على اللفظ. ولا يحبذ التكليف فيه، إلا إذا استدعه المعنى، واستوجبه المقام. واللفظ على الخط،

والخط على السرقات. ولا يحصر فيما ذكره القوم، بل تجوز الإضافة إليه، بناء على استقصاء الأساليب العربية.

هذا: وإنما قدم المعنوي على اللفظي، لأنه أتم منه حسنا، ورأى بعض مؤلفي العصر إلحاقه بالمعاني، والحق أنه لا فرق بينه وبين اللفظي، لأنهما سواء في أن الحسن فيهما عرضي لا ذاتي، وفي أنهما لا يحسنان في الكلام ولا يجيان.

ومن حيث التحصيل: معرفة المصطلحات، وتطبيق المسائل على الطبيعة، وتطبيقها على التعلم من غير تكلف ولا تعسف.

فصل: التقسيم: وينقسم العلم إلى المعاني: والألفظ. فالمعاني: المقصود الأصلي والغرض الأولى: فذكر واحد من القوم أن: "منه المطابقة، والمقابلة، والمراعاة، أو التناسب أو التوفيق، والتشابه، والإرصاد، أو التسهيم، والمشاكلة، والمزاوجة، والعكس والرجوع والتورية والإستخدام واللف والنشر والجمع والتفريق والتقسيم والجمع مع التفريق والجمع مع التقسيم، والجمع مع التفريق والتقسيم، والتجريد، والمذهب الكلامي، وحسن التعليل، والتفريع، والتأكيد بنوعيه، والاستتباع، والادماج، والتوجيه، أو محتمل الضدين، والهزل المراد، والتجاهل، أو السوق، والقول بالموجب، والاطراد.

وأن: الألفاظ " توابع وقوالب لها: فمنه: الجناس أو ما في المعنى، والرد، والسجع، والموازنة، والقلب، والتشريع، أو التوشيح، واللزوم". انتهى.

هذا: وأنواع العلم تتداخل بعضها ببعض إلى مستوى قد يصعب الفصل بينها.

هذا: ثم وينقسم العلم من حيث اعتبار تناسب المصطلحات بينها إلى مجموعات، وما عشر مجموعات وهي على الترتيب:

مجموعة التضاد، وفيها الطباق. والمقابلة. والمشاكلة. ومراعاة النظير. وتشابه الأطراف. وإيهام التناسب.

ومجموعة الإيهام، وفيها التورية. والاستخدام. والتنكيت. والمزاوجة. والمناقضة. والتفريع. والتوجيه. والإدماج. والطاعة والعصيان.

ومجموعة الترجيح، وفيها التغليب. والاستطراد. والتخيير. والتشكيك. والابهام.

ومجموعة الحكمة، وفيها أسلوب الحكيم. والمذهب الكلامي. والتسليم. ونفي الشيء بإيجابه. وعكس الظاهر: وتأنيث المذكر: أو التأنيث. وتذكير المؤنث: أو التذكير. وتصور معنى الواحد للجماعة: أو التصور. وتصور معنى الجماعة للواحد. وتقدم المفعول على الفعل: أو التقدم. وتقديم الظرف على المظروف: أو التقديم. وتقديم المظروف على الظرف. وجعل الخبر على المبتدإ، أو الجعل. وتقديم الأكثر على الأقل. والطرد والعكس. والترقي. والسلب والإيجاب. والإيضاح. وتجاهل العارف. وبراعة الاستهلال. والتخلص. وحسن الخروج. وبراعة المقطع. وبراعة الطلب. وحسن الإتباع. وحسن التنسيق. وحسن البيان. وبراعة الختام. وذكر التعليل. وحسن التعليل. ولزوم ما لا يلزم. والتجريد. والإلغاز. والكناية. والإكتفاء. والتعريض. والتوهيم. والإحتراس. والمواربة. والتشبيب. والرجوع. والإلتفات. والاعتراض. والمراجعة.

ومجموعة التعديد، وفيها: اللف والنشر. والتقسيم. والجمع. والتفريق. والجمع مع التقسيم. والجمع مع التفريق. والجمع مع التفريق والتقسيم. والتطريز. والاطراد. والتوشيع. والترديد. والتكرير.

ومجموعة الفنون، وفيها تأكيد المدح بما يشبه الذم. وتأكيد الشيء بما يشبه نقيضه. وتأكيد الذم بما يشبه المدح. والاستتباع. وجمع المؤتلف والمختلف. والإشتقاق. والهجو في معرض المدح. والتهكم. والهزل الذي يراد به الجد. والنزاهة. والمغايرة.

ومجموعة الإبداع، أو مجموعة الشجاعة، أو مجموعة شجاعة العربية، وفيها المبالغة. والتذييل. وحصر الجزئي وإلحاقه بالكلي. والقَسم. والتفويف. والكلام الجامع. والإبداع. والإفتنان. وإرسال المثل. والإشارة. والتتميم.

ومجموعة الإزدواج، وفيها الجناس. والتصحيف. والإزدواج. والقلب. والإرصاد. والسجع. والموازنة. والتجزئة. والعكس. والتصدير. والتشكيل. والتوزيع. والتلوين. والتفصيل. والتمليط.

ومجموعة الخطوط، وفيها التوأّم. والتخييف. والإرقاط. والتحلي. والتعاطل. والتقطيع. والتوصيل. والتلمّع. والتشريع.

ومجموعة التلميح. وفيها الإقتباس. والايداع. والاستعانة. وحسن التضمين. والمواردة. والعِقد. والحل. والتلميح.

فصل: الحكم: فالعلم بالنسبة إلى العامة فرض تعلمه وتطبيقه على أقوال الشاعر على الكفاية، وبالنسبة إلى كل من أراد أن يقف على شيء من أقوال الشريعة فرض تعلمه وتطبيقه على التعيين، إذ به يعرف إعجازها، وأنها لا تندرج تحت قدرة المخلوق، ولا في طاقته، وأنها من خالق كل شيء. ومستحب بالنسبة لغيره. قال الله تعالى: {ولكم في القصاص حياة}، وقال تعالى: {خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين}.

هذا: وهل العلم كله بأقسامه واجب شرعي، أم منه ما هو شرعي ومنه ما هو صناعي؟ مجال الإختلاف.

فالمعاني منه لا ينبغي أن يخالف أحد في حكمه بمراتبه، على أنه واجب شرعي، ولم يكن فيه ما هو بمنزلة اللفظي. واللفظي قد يخالف فيه أحد في حكمه، ولكن الملحوظَ، أنّ فيه الجناسَ، والجناس إذا دخله النفي صار بمنزلة الطباق، فأرى فيما أرى والله أعلم فيما أعلم وفيما لا أعلم: أن لو ألحق بالمعاني لكان أولى، وإن لم يكن ذلك، فيلحق الجناس على حدته بالمعاني في حكمه، أو ما يستحق منه في ذلك. ويبقى اللفظي واجبا صناعيا. ثم والخطي والسرقي: لا ينبغي أن يخالف أحد في حكمهما بمراتبهما على أن كلا منهما واجب صناعي.

فصل: المنزلة: ومنزلته أنه دون المعاني والبيان، ومن الألوان التي يحسن بها الكلام تماما، كما وصف. حتى إن بعضهم لم يجعله علما على وحدة، وجعله ذيلا لهما، ولكن تأخر العلم عن العلمين لا يمنع كونه علما مستقلا، وإلا لما كان كثير من العلوم علما على وحدته.

هذا: والزمخشري جار الله لا يرى ولا يعد العلم علما مستقلا بنفسه من علوم البلاغة، وإنما عده ذيلا وهامشا.

ومع ذلك فقد استدعى الزمخشري نفسه تفسيره البياني أن يشير إشارة خفيفة إلى ما ورد في بعض الآيات من بديع، من مثل: الطباق والمقابلة والمشاكلة واللف والنشر، والالتفات وتأكيد المدح بما يشبه الذم، ومراعاة النظير والتناسب والتقسيم والاستطراد والتجريد.

هذا: ومنهم من لم يفرق في تأليفه بين العلم وبين علم البيان، فتجد في الكتاب الاستعارة والتشبيه والمجاز، كأنه رأى أن ذلك كله ينتظم تحت العلم.

فصل: الإنفراد: هذا: والعلم غير بعيد ولا مستبعد أن يقال انه انفرد من البيان والمعاني، وذلك أن من مصطلحاته ما هو يشهد لذلك، فهذا التورية قد يمكن إدخالها في البيان كالمجاز وما في المعنى، وذلك من وجه خاص على تقدير الوجه. وكذلك الاستخدام لميله إلى جانب التورية. وهذا غير خفي.

فصل: غايته: وغاية العلم تحصيل ملكة تحلية الكلام بالمحسنات العرضية، والاحتراز عن خلو الكلام عن التحلية المذكورة ومنفعته النظرية لنشاط السامع وزيادة القبول في العقول والاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد، أي: ما هو مراد البليغ من الغرض المصوغ له الكلام كما هو المتبادر من إطلاق المعنى المراد في كتب علم البلاغة، فلا يندرج فيه الاحتراز عن التعقيد المعنوي كما توهمه البعض ولا الاحتراز عن التعقيد مطلقا.

فصل: الفائدة: وفائدته إظهار رونق الكلام وحسنه العرضي. والعلم ذكره أهل البيان في أواخر {علم البيان}، إلا أن المتأخرين زادوا عليه شيئا كثيرا.

وكفى للعلم فائدة: معرفة وجه إعجاز القرآن الكريم. ومعرفة وجه إعجاز كلام الرسول صلى الله عليه وسلم، الذي يدل على صحة نبوته. وتمييز الفصيح عن غيره، ومعرفة أن هذا الكلام فصيح وهذا غير فصيح. وإظهار رونق الكلام حتى يلج الأذن بغير إذن، ويتعلق بالقلب من غير كد.

هذا: وإنما دونوا هذا العلم لأن الأصل وإن كان الحسن الذاتي وكان المعاني والبيان مما يكفي في تحصيله، لكنهم اعتنوا بشأن الحسن العرضي أيضا لأن الحسناء إذا عريت عن المزينات ربما يذهل بعض القاهرين عن تتبع محاسنها فيفوت التمتع بها.

ثم إن وجوه التحسين الزائد، إما: راجعة إلى تحسين المعنى أصالة وإن كان لا يخلو عن تحسين اللفظ تبعا. وإما: راجعة إلى تحسين اللفظ كذلك، فالأولى: تسمى معنوية، والثانية: لفظية.

فصل: أئمة العلم، والأئمة: جمع إمام: والامام من يقتدى به من أهل الاختراع في الاصطلاح، وبلغ مرتبة الرأي الإجتهاد والترجيح في العلم.

فمنها: أبو العباس عبد الله ابن المعتز، الخليفة، بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد الأمام، ولي الخلافة يوما وليلة ثم مات مقتولا سنة 296هـ، وكان شاعرا مطبوعا مقتدرا على الشعر، سهل اللفظ، جيد القريحة، حسن الإبداع للمعاني، مغرما بالبديع في شعره، وبالإضافة إلى ذلك كان أديبا بليغا، مخالطا للعلماء، والأدباء، معدودا من جملتهم، وله بضعة عشر مؤلفا في فنون شتى.

وبشار: وهو أبو معاذ بشار بن برد ولد في البصرة، وعاصر الدولتين الأموية والعباسية، اتهم بالزندقة فقتل عام 167هـ. ومسلم: وهو مسلم بن الوليد الأنصاري، ولقبه: "صريع الغواني" ولد في الكوفة، ونشأ بها وتأدب ومدح، وهو من الذين تكلفوا البديع في شعرهم فاتهم بإفساده، ومات عام 208هـ. وأبو نواس: وهو الحسن بن هانئ، صاحب ديوان الخمريات المعروف، نشأ بالبصرة ثم انتقل إلى الكوفة، ومنها إلى بغداد حيث قربه الرشيد والأمين، ومات في بغداد عام 198هـ. وحبيب الطائي: وهو حبيب بن أوس الطائي الشاعر العباسي المعروف بأبي تمام، ولد بجاسم من أعمال حوران عام 72هـ، رحل إلى مصر، ثم إلى خراسان والحجاز والموصل وبلاد الشام والعراق إلى أن استقر في سامرّاء، وفيها قربه المعتصم وولاه بريد الموصل، فمدحه وأجاد، وخاصة بعد أن فتح المعتصم مدينة "عمّوريَةَ"، عين الروم آنذاك، ردا على اعتداء الروم على مدينة "زِبطرَة" العربية، في قصيدة تعتبر من عيون الشعر العربي، لما فيها من صور مبتكرة، وأناقة في التعبير، وإن كانت الصناعة طاغية على جميع أبياتها، ومطلعها:

السيف أصدق إنباء من الكتب + في حده الحد بين الجِد واللعب

وتوفي عام 232هـ.

فصل: مصادر الكتاب: فالبحث عن مصادر أي عمل علمي أمر مهم لتوثيق مادة ذلك العمل، والوقوف على أصل الأفكار التي تضمنها، ومقدار ما أضافه الكاتب على من سبقه إلى بحثه، لكن الأعمال العلمية تتفاوت في إمكانية تحديد مصادرها، فمن الباحثين من ينص على مصادره، ومنهم من لا يشير إليها، مما يزيد في صعوبة تحديدها، وكتب التي طالعتها للكتاب في العلم وما في معنى العلم، وغيرها في غيره وما ليس في المعنى، واعتمدت عليها: كثيرة جدا؛ وأذكر منها ما من العلم وما في معناه، ما تيسر من التقدير، وتقدر من التيسير، فمنه: خزانة الأدب وغاية الأرب: تأليف: أبي بكر علي ابن حجة الحموي. والتلخيص في علوم البلاغة للإمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب. والايضاح له أيضا. وشرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع. تأليف: صفي الدين عبد العزيز بن سرايا بن علي السنبسي الحلي. وعلوم البلاغة تأليف الدكتورين: محمد أحمد قاسم، ومحي الدين ديب. والمصباح في المعاني والبيان والبديع، تأليف: بدر الدين بن مالك الشهير بابن الناظم. ومفتاح العلوم للسكاكي. وجواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع. تأليف: السيد أحمد الهاشمي. وجوهر الكنز لنجم الدين اسماعيل بن الأثير الحلبي. والحاشية على المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم في البلاغة

تأليف: أبي الحسن الجرجاني. وأنوار الربيع في أنواع البديع: تأليف: صدر الدين علي بن معصوم المدني. وبغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة: تأليف: عبد المتعال الصعيدي. وعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي.

باب المعنوية

المعنوية أو المحسنات المعنوية، أو محسنات المعاني، وهي التي يكون التحسين بها راجعا إلى المعنى أولا وبالذات، وإن كان بعضها قد يفيد تحسين اللفظ لكن التحسين يجيأ تبعا للمعنوي، كالطباق بين يسر ويعلن في قوله تعالى: {والله يعلم ما تسرون وما تعلنون}، فلو غير اللفظ بما يرادفه، فقيل في الشرح "يعلم ما تخفون وما تظهرون" لم يتغير المحسن المذكور، وهو الطباق بين اللفظين.

فصل: ويتضمن الباب: المطابقة والمقابلة والمناسبة والتفويف والمشاكلة والاستطراد والعكس والارصاد والتورية والمزاوجة والجمع، والتفريق، والتقسيم، والجمع مع التفريق، والجمع مع التقسيم، والجمع مع التفريق، والجمع مع التقسيم، والجمع مع التفريق والتقسيم، واللف والنشر، والتجريد، والمبالغة، والتعليل وتأكيد المدح بما يشبه الذم، وتأكيد الذم بما يشبه المدح، والاستتباع والادماج والتوجيه، والتجاهل والقول بالموجب، والاطراد. وما في المعنى.

فصل: الطباق أو التطبيق، أو التطابق أو التضاد، أو المطابقة، أو التكافؤ: الجمع بين الضدين، نثرا أو شعرا. إسمين كانا أو فعلين أو حرفين، أو نوعين، وتلك ستة أقسام.

هذا: ويأتي بألفاظ الحقيقة: وهو ما يسمى بالمطابقة أو الطباق، كقوله تعالى: {وتحسبهم أيقاظا وهم رقود}، وقوله تعالى: {وأنه هو أضحك وأبكى، وأنه هو أمات وأحيى} وقوله تعالى: {وما يستوي الأعمى والبصير، ولا الظلمات ولا النور، ولا الظل ولا الحرور، وما يستوي الأحياء ولا الأموات}.

وبألفاظ المجاز، ويسمى بالتكافؤ: ومنه قول الشاعر:

حلو الشمائل وهو مر باسل + يحمي الذمار صبيحة الإرهاق

فالمطابقة بين حلو ومر يجري مجرى الإستعارة، إذ ليس في الإنسان ولا في مشائله ما يذاق بحاسة الذوق.

فصل: ومطابقة الإيجاب: ما صرح فيه بإظهار الضدين، أو ما لم يختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا، نحو قوله تعالى: {فألئك يبدل الله سيئاتهم حسنات}. وقوله تعالى: {باطنه في الرحمة وظاهره من قبله العذاب}.

فصل: ومطابقة السلب: ما لم يصرح فيها بإظهار الضدين، أو ما اختلف فيه إيجابا وسلبا، وذلك بحيث يجمع بينهما من مصدر واحد، أحدهما مثبت والآخر منفي، نحو قوله تعالى: {تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك}. فالمطابقة هنا هي في الجمع بين "تعلم ولا أعلم" وهي حاصلة بإيجاب العلم ونفيه، لأنهما ضدان. وقوله تعالى: {قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون}. فالمطابقة هنا هي الجمع بين "يعلمون ولا يعلمون" وهي حاصلة بإيجاب العلم ونفيه، لأنهما ضدان. وقال تعالى: {يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله}، وقال تعالى: {..... لا يعلمون. يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا}. وقال تعالى: {اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء}. وقال تعالى: {فلا تخشوا الناس واخشوني}.

فصل: والطباق الخفي: خفاء التضاد بين المعنيين، كقوله تعالى: {ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب}، قال الإمام: "من أملح الطباق وأخفاه، لأن معنى القصاص القتل، فصار القتل سببا للحياة. وقوله تعالى: {مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا}. فإدخال النار ليس ضد الإغراق في المعنى، ولكنه يستلزم ما يقابله وهو الإحراق، فإن من دخل النار احترق، والإحتراق ضد الغرق. ومثله: {محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم}. فالمطابقة هنا هي في الجمع بين "أشداء ورحماء" فلفظ رحماء ليس ضدا في المعنى لأشداء، ولكن الرحمة تستلزم اللين المقابل للشدة، لأن من رحم لان قلبه ورق، ومن الناحية الخفية صحت المطابقة.

فصل: والطباق الوهمي: وهو أن يوهم لفظ الضد أنه ضد مع أنه ليس بضد نحو:

لا تعجبي يا سلم من رجل + ضحك المشيب برأسه فبكى

فالضحك هنا ليس بضد البكاء، لأنه كناية عن كثرة الشيب، ولكنه من جهة اللفظ يوهم المطابقة.

فصل: بلاغة المطابقة: وللمطابقة بلاغة، إذ الإتيان بمجرد لفظين متضادين أو متقابلين معنى، كقول الشاعر:

ولقد نزلت من الملوك بماجد + فقر الرجال إليه مفتاح الغنى

فمثل المطابقة هذي لا طائل تحتها لأن مطابقة الضد بالضد على هذا النحو أمر سهل، وإنما جمال المطابقة في مثل هذي الحالة، أن تشرح بنوع من أنواع البديع يشاركه في البهجة والرونق، كقوله تعالى: {تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل، وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي، وترزق من تشاء بغير حساب}. ففي العطف بقوله تعالى: {وترزق من تشاء بغير حساب}. دلالة على أن من قدر على هذي الأفعال العظيمة قدر على أن يرزق بغير حساب من شاء من عباده.

ومنه قول امرئ القيس:

مكر مفر مقبل مدبر معا + كجلمود صخر حطه السيل من عل

فالمطابقة في الإقبال والإدبار، ولكنه لـمّا قال: "معا" زادها تكميلا، فإن المراد بها قرب الحركة وسرعتها في حالتي الإقبال والإدبار، وحالة الكر والفر. فلو ترك المطابقة مجردة من هذا التكميل ما حصل لها هذه البهجة، ولا هذا الوقع الحسن في النفس.

ثم إنه لما استطرد بعد تمام المطابقة وكمال التكميل إلى التشبيه على سبيل الإستطراد البديعي، وبهذا اشتمل بيت امرئ القيس على المطابقة والإستطراد.

هذا: والأصل في الطباق الجمع بين الشيء وضده، فإذا لم يجتمع ضدان لم يكن طباقا، فلو جمعت بين الخبز والملح، أو الكتابة والقراءة، والعلم والمال، وما في المعنى، ما جاز لك أن تسمي ذلك طباقا، لو كان في هذه الثنائية ما يشف عن أثر ضئيل من آثار الطباق، فمنه قول أبي الطيب:

لمن تطلب الدنيا إذا لم ترد بها + سرور محب أو إساءة مجرم

فالمحب يضاده ويقف تجاهه المبغض وليس المجرم، وهذا من الطباق الفاسد.

فصل: المقابلة: إيراد الكلام ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة.

وقال القزويني: "... أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر ثم بما يقابل ذلك على الترتيب". وهو يعني بالتوافق خلاف التقابل، نحو قوله تعالى: {فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا}.

مثاله: عليك بالرفق فإنه لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه.

والفرق بين المقابلة والطباق: أن الطباق لا يكون إلا في الأضداد، والمقابلة تكون بين الأضداد وبين غير الأضداد، ولكنها بالأضداد تكون أعلى مرتبة وأعظم موقعا.

والفرق الثاني أن الطباق لا يكون إلا بين ضدين فقط، أما المقابلة فتكون بين أكثر من اثنين، وقد تصل إلى الجمع بين عشرة أضداد: خمسة في الصدر، وخمسة في العجز.

وتقع المقابلة في الكلام شعرا أم نثرا، وتقع بين لفظين أو أكثر.

وتصح المقابلة إذا أتى المتكلم بأشياء في صدر الكلام أتى بأضدادها في العجز على الترتيب، بحيث يقابل الأول بالأول والثاني بالثاني، لا يخرم من ذلك شيئا في المخالف والموافق، ومتى أخل بالترتيب كانت المقابلة فاسدة.

هذا: واختلف في المقابلة: فمن جعلها في معنى المطابقة، قالوا: "إذا جاوز الطباق ضدين كان مقابلة" ويدخلها في إيهام التضاد، ومنهم من جعلها نوعا مستقلا بنفسه، وقد يصح ذلك، لأن المقابلة أعم من المطابقة.

فصل: بلاغة المقابلة: ويرى القوم أن أعلى رتب المقابلة وأبلغها، هو ما كثر فيه عدد المقابلات بشريطة ألا تؤدي هذه الكثرة إلى التكلف أو توحي به. والمقابلة بالأضداد أفضل وأتم.

فصل: المشاكلة: أن يذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقا أو تقديرا: قال الله تعالى: {تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك}. هذا: وقد أطلق الله على ذاته "النفس" قال تعالى: {ويحذركم الله نفسه}. وقال تعالى: {نسوا الله فنسيهم}. وقال تعالى: {فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم}. وقال تعالى: {ومكروا ومكر الله}. وقال تعالى: {يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا، بل يداه مبسوطتان}. وقال تعالى: {وجزاء سيئة سيئة مثلها}. وقال تعالى: {يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون}.

فصل: مراعاة النظير: أو التناسب أو الائتلاف أو التوفيق أو المؤاخاة، وهو أن يجمع الناظم أو الناشر أمرا وما يناسبه لا بالتضاد لتخرج المطابقة، سواء كانت المناسبة لفظا لمعنى أو لفظا للفظ أو معنى لمعنى، إذ المقصود جمع شيء إلى ما يناسبه من نوعه أو ما يلائمه من أي وجه من الوجوه.

وذلك إما بين اثنين نحو قوله تعالى: {وهو السميع البصير}، أو بين أكثر. قال تعالى: {أو لم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون. أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون}.

وقال الشاعر في وصف فرس:

من جلّنار ناضر خده + وأذنه من ورق الآس

فالمناسبة هنا بين الجلنار والآس والنضارة..

فصل: ومن الباب تشابه الأطراف: وهو أن يختم الكلام بما يناسب أوله في المعنى أو في اللفظ.

فالمعنوي: كقوله تعالى: {لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير}. فإن اللطف يناسب ما لا يدرك بالبصر، والخبرة تناسب من يدرك شيئا، فإن من يدرك شيئا يكون خبيرا به.

وقال تعالى: {له ما في السموات وما في الأرض وإن الله لهو الغني الحميد}.

ومن خفيه: قوله تعالى: {إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم}.

واللفظي: نوعان: أحدهما: أن ينظر الناظم أو الناثر إلى لفظة وقعت في آخر المصراع الأول أو الجملة، فيبدأ بها المصراع الثاني أو الجملة الثانية، قال الله تعالى: {مثل نوره كمشكاوة فيها مصباح، المصباح في زجاجة، الزجاجة كأنها كوكب دري}.

والآخر: أن يعيد الناظم لفظة القافية من كل بيت في أول البيت الذي يليه.

فصل: ومن الباب أيضا: إيهام التناسب: وهو الجمع بين معنيين غير متناسبين بلفظين يكون لهما معنيان متناسبان، وإن لم يكونا مقصودين، ومن أجل ذلك يلحق بمراعاة النظير. قال تعالى: {الشمس والقمر بحسبان، والنجم والشجر يسجدان}. ف{ الشمس والقمر بحسبان}، أي بحسبان معلوم وتقدير محكم دقيق، و{ والنجم والشجر يسجدان}، النجم: النبات الذي ينجم من الأرض لا ساق له كالبقول، والشجر الذي له ساق. وسجودهما: انقيادهما لله فيما خلقا له.

فالنجم بمعنى النبات وإن لم يكن مناسبا للشمس والقمر، فقد يكون بمعنى الكوكب وهو مناسب لهما، ولهذا سمي إيهام التناسب.

فصل: التورية أو الإيهام أو التوجيه أو التخيير أو التخييل أو المغالطة. والتورية أولى: وهي أن يذكر المتكلم لفظا مفردا له معنيان: قريب ظاهر، غير مراد، وبعيد خفي هو المراد.

وقال أبو الأصبع: "التورية وتسمى التوجيه: هي: أن يكون الكلام يحتمل معنيين فيستعمل المتكلم أحد احتماليها ويهمل الآخر، ومراده ما أهمله لا ما استعمله".

وقال القزويني: "..... وهي أن يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد، وهي ضربان مجردة ومرشحة".

وقال الصفدي: "التورية هي أن يأتي المتكلم بلفظة مشتركة بين معنيين، قريب وبعيد، فيذكر لفظ يوهم القريب إلى أن يجيء بقرينة يظهر منها أن مراده البعيد".

وقال الحموي: "التورية أن يذكر المتكلم لفظا مفردا له معنيان حقيقيان، أو حقيقة ومجاز، أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة، والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية، فيريد المتكلم المعنى البعيد، ويورى عنه بالمعنى القريب، فيتوهم السامع أول وهلة أنه يريد القريب وليس كذلك، ولأجل ذلك سمى هذا النوع إيهاما".

وقال التبريزي: "... أن يطلق لفظ له معنيان: قريب وبعيد، ويراد به البعيد منهما".

هذا: ولا بد للتورية من قرينة خفية تدل على إرادة المعنى البعيد، فإذا كانت القرينة ظاهرة لم يكن للفظ تورية، وبهذا تمتاز عن المجاز والكناية، كما تمتاز بأن كل واحد من معانيها يفهم من اللفظ من غير وساطة الآخر أو احتياج إلى علاقة بينهما، وهذا هو السبب في أن التورية عند القوم ليست من البيان كالمجاز والكناية، وقد تدخل في إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة، فيقال في الاستيلاء مثلا الرحمن استوى على العرش واستولى عليه، وهكذا، وبهذا يمكن إدخالها في البيان كالمجاز والكناية، ومن عدها من العلم نظر إلى أن المعنى القريب لسرعة إدراكه قبل البعيد يكون له كالحجاب، فيظهر من وراءه للطفه بصورة الوجه المبرقع الجميل.

ثم وهي مجردة: لا يذكر معها لازم من لوازم المورى به، ولا من لوازم المروى عنه، كقوله تعالى: {الرحمن على العرش استوى} فلظ "استوى" لها معنيان، قريب ظاهر غير مراد وهو الجلوس، لأن الله تعالى منزه عن المعنى، والثاني بعيد خفي ويعني الملك والاستعلاء، وهو المقصود. وحيث لم يذكر في الآية من لوازم المعنى البعيد أو المعنى القريب شيء، فلهذا كانت مجردة.

ومرشحة: يذكر فيها لازم من لوازم المورى به، وهو المعنى القريب، وسميت مرشحة لتقويتها بذكر لازم المورى به. ثم تارة يذكر اللازم قبل لفظ التورية وتارة بعده، فهي بذلك قسمان:

القسم الأول: هو ما ذكر لازمه قبل لفظ التورية، وذلك نحو قوله تعالى: {والسماء بنيناها بأيد}، فإن قوله "بأيد" يحتمل اليد الجارية، وهذا هو المعنى القريب المورى به، وقد ذكر من لوازمه على جهة الترشيح "البنيان" ويحتمل القوة وعظمة الخالق، وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه، وهو المراد لأن الله تعالى منزه عن المعنى الأول.

والقسم الثاني: هو ما ذكر لازم المورى به بعد لفظ التورية.

ومبينة: ذكر فيها لازم المورى عنه قبل لفظ التورية أو بعده، فهي بذلك قسمان أيضا:

القسم الأول: ما ذكر لازم المورى عنه قبل لفظ التورية. واستشهدوا بقول البحتري:

ووراء تسدية الوشاح ملية + بالحسن تملح في القلوب وتعذب

فالشاهد هنا في "تملح" فإنه يحتمل أن يكون من الملوحة التي هي ضد العذوبة، وهذا هو المعنى القريب المورى به وغير المراد، ويحتمل أن يكون من الملاحة التي هي عبارة عن الحسن، وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه وهو المراد.

والقسم الثاني: هو الذي ذكر فيه لازم المورى عنه بعد لفظ التورية، وذلك نحو قول الشاعر:

أرى ذنب السرحان في الأفق طالعا + فهل ممكن أن الغزالة تطلع؟

فالبيت فيه توريتان إحداهما "ذنب السرحان" فإنه يحتمل أول ضوء النهار، وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه، وهو مراد الشاعر، وقد بينه بذكر لازمه بعده بقوله: "طالعا". ويحتمل ذنب الحيوان المعروف، وهو الذئب أو الأسد، وهذا هو المعنى القريب المورى به، والتورية الثانية في "الغزالة" فإنه يحتمل أن يكون المراد بها الشمس، وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه، وهو مقصود الشاعر، وقد بينه بذكر لازمه بعد قوله: "تطلع". ويحتمل أن يكون المراد بها الغزالة الوحشية المعروفة، وهذا هو المعنى القريب المورى به، والذي لم يقصده الشاعر.

ومهيئة: تكون بلفظين، لولا تلازمهما لما تهيأت التورية ولا فطن لها أحد.

أو التي لا تقع فيها التورية ولا تتهيأ إلا باللفظ الذي قبلها، أو باللفظ الذي بعدها.

فالمهيأ على هذا الاعتبار ثلاثة أقسام:

فالقسم الأول: هو الذي تتهيأ فيه التورية من قبل. واستشهدوا بالرئيس ابن سينا:

وسيرك فينا سيرة عمرية + فروحت عن قلب وأفرجت عن كرب

وأظهرت فينا من سميك سنة + فأظهرت ذاك الفرض من ذلك الندب

فالشاهد هنا: "الفرض والندب" وهما يحتملان أن يكونا من الأحكام الشرعية، وهذا هو المعنى القريب المورى به، ويحتمل أن يكون الفرض بمعنى العطاء والندب صفة الرجل السريع في قضاء الحوائج

الماضي في الأمور، وهذا هو المعنى المورى عنه، ولولا ذكر "السنة" لما تهيأت التورية فيهما، ولا فهم من الفرض والندب الحكمان الشرعيان اللذان صحت بهما التورية.

والقسم الثاني: هو الذي تتهيأ فيه التورية بلفظة من بعده.

والقسم الثالث: هو الذي تقع التورية فيه في لفظين لولا كل منهما لما تهيأت التورية في الآخر.

والشاهد لعمر بن أبي ربيعة:

أيها المنكح الثريا سهيلا + عمرك الله كيف يلتقيان؟

هي شامية إذا ما استقلت + وسهيل إذا استقل يماني

والشاهد هنا هو "الثريا وسهيل" فإن "الثريا" يحتمل أن يكون الشاعر أراد بها بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر، وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه وهو المراد، ويحتمل أن يكون أراد بها نجم الثريا، وهذا هو المعنى القريب المورى به. و"سهيل" يحتمل أيضا أن يكون سهيل بن عبد الرحمن بن عوف، وقيل كان رجلا مشهورا من اليمن، وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه، ويحتمل أن يكون النجم المعروف بسهيل، وهذا هو المعنى القريب المورى به. ولولا ذكر "الثريا" التي هي النجم لم يتنبه السامع لسهيل. وكل واحد منهما صالح للتورية.

فصل: الاستخدام: وهو ذكر لفظ مشترك بين معنيين يراد به أحدهما ثم يعاد عليه ضمير أو إشارة بمعناه الآخر، أو يعاد عليه ضميران يراد بثانيهما غير ما يراد بأولهما. أو تعيد عليه إن شئت ضميرين تريد بأحدهما أحد المعنيين وبالآخر المعنى الآخر، قال الله تعالى: {فمن شهد منكم الشهر فليصمه}.

هذا: وقيل: هو إطلاق لفظ مشترك بين معنيين ثم يأتي بلفظين يفهم من أحدهما أحد المعنيين ومن الآخر المعنى الآخر. ثم إن اللفظين قد يكونان متأخرين عن اللفظ المشترك وقد يكونان متقدمين، وقد يكون اللفظ المشترك متوسطا بينهما، والطريقتان راجعتان إلى مقصود واحد وهو استعمال المعنيين.

وقيل: هو عبارة عن أن يأتي المتكلم بلفظة مشتركة بين معنيين اشتراكا أصليا متوسطة بين قرينتين، تستخدم كل قرينة منهما معنى من معنيي تلك اللفظة. وأصحه وأتمه ما كان في القرينة الأخيرة ضمير يعود إلى تلك اللفظة المشتركة.

قال الله تعالى: {ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا إلا عابري سبيل}. وقال تعالى: {لكل أجل كتاب. يمحو الله ما يشاء ويثبت}.

هذا: والباب: عزيز الوقوع متعاص على الناظم، شديد الالتباس بالتورية، قلما تكلفه بليغ وصح منه بشروطه، لصعوبته وقلة انقياده، وميله إلى جانب التورية، ولذلك لم يرد منه في أمثلة كتب القوم سوى بيتين، وفي كل منهما نظر، وعززهما بعضهم بثالث لم يكن منه.

فصل: التنكيت: أن يقصد المتكلم شيئا بالذكر دون أشياء كلها، تسد مسده لولا نكتة في ذلك الشيء المقصود ترجح اختصاصه بالذكر. قال الله تعالى: {وأنه هو رب الشعرى}. فخص الشعرى بالذكر دون غيرها من النجوم، وهو رب كل شيء. وسبب نزول الآية أنه كان قد ظهر في العرب رجل يعرف بابن أبي كبشة عبد الشعرى، ودعا خلقا كثيرا إلى عبادتها، فأنزل الله تعالى الآية. وقال تعالى: {وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم}. وقال تعالى: {ملك يوم الدين}.

فصل: المزاوجة: أن يزاوج المتكلم بين معنيين في الشرط والجزاء، بأن يرتب على كل منهما معنى رتب على الآخر. قال البحتري:

إذا ما نهى الناهي فلج بي الهوى + أصاخت إلى الواشي فلج بها الهجر

فصل: المناقضة: تعليق الشرط على نقيضين ممكن ومستحيل، ومراد المتكلم المستحيل دون الممكن ليؤثر التعليق عدم وقوع المشروط، فكأن المتكلم ناقض نفسه في الظاهر إذ شرط وقوع أمر بوقوع نقيضين.

فصل: التفريع: وهو أن يثبت حكم لمتعلق أمر بعد إثباته لمتعلق له آخر.

فصل: التوجيه: وهو إيراد الكلام محتملا لوجهين مختلفين على السواء كهجاء ومديح، ليبلغ القائل غرضه بما لا يمسك عليه. قال تعالى: {واسمع غير مسمع وراعنا}.

فصل: الإدماج: وهو أن يضمن المتكلم كلاما ساقه لمعنى معنى آخر لم يصرّح به، ولا يشعر في كلامه بأنه مسوق لأجله، فهو أعم من الاستتباع. قال الله تعالى: {له الحمد في الأولى والآخرة}. فإن الغرض منها تفرده تعالى بوصف الحمد، وأدمج فيه الإشارة إلى البحث والجزاء. وقال تعالى: {الحمد لله رب العامين}.

فصل: الطاعة والعصيان: وهو أن يريد المتكلم معنى من معاني البديع فيستعصي عليه لتعذر دخول اللفظ في الوزن الذي هو آخذ فيه، فيأتي موضعه على الإبدال بكلام غيره يتضمن معنى كلامه، ويقوم به وزنه ويحصل به معنى من البديع غير المعنى الذي قصده.

فصل: التغليب: وهو ترجيح أحد المعلومين على الآخر وإطلاق لفظه عليهما: قال الله تعالى: {فسجد الملائكة كلهم أجمعين إلا إبليس}. وقال تعالى: {جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرأكم فيه}. وقال تعالى: {يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان}.

فصل: الإستطراد: وهو أن يخرج المتكلم من الغرض الذي هو فيه إلى آخر لمناسبة بينهما ثم يرجع إلى إتمام الأول. قال الله تعالى: {ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود}.

فصل: التخيير: أو الاستدلال: وهو أن يأتي الشاعر ببيت يسوغ فيه أن يقفى بقواف شتى، فيتخير منها قافية يرجحها على سائرها يستدل بتخييرها على حسن اختياره. كقول الشاعر:

إن الغريب الطويل الذيل ممتهن + فكيف حال غريب ماله قوت

فإنه يسوغ أن يقول "ماله شبب" أو "ماله سبب" أو "ماله أحد" أو "ماله قوت"، فإذا تأملت قوله ماله قوت وجدتها أبلغ من الجميع وأدل على القافية وأمس بذكر الحاجة وأبين للضرورة وأشجى للقلوب وأدعى للاستعطاف، فلذلك رجحت على ما ذكرناه.

قال الله تعالى: {إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين. وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون. واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحي به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون}. وقال تعالى: {فأما اليتيم فلا تقهر. وأما السائل فلا تنهر. وأما بنعمة ربك فحدث}. هذا: والقرآن آياته كلها لم تخرج عن الباب.

فصل: التشكيك: هو أن يأتي المتكلم في كلامه بلفظ يشكك المخاطب، هل هو حشو أو أصلي لا يستغني الكلام عنه. قال الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين}. يعتقد السامع أن لفظة الدين زائدة، والبلاغة تقتضي أن لا غنى عنها، فإن الدين يطلق على معان، منها: الدين المالي، ودين المودة. تقول: داينت فلانا مودتي، ودين المجاوزة، كقولك: كما تدين تدان، فلما أراد سبحانه في الآية الكريمة الدين المالي، ذكر لفظة دين ورسخها بقوله: {فاكتبوه}، لأن الديون المذكورة ليس فيها ما يكتب ويشهد به غير الدين المالي.

فصل: الإبهام: وهو بالباء الموحدة، وهو أن يقول المتكلم كلاما مبهما يحتمل معنيين متضادين لا يتميز أحدهما عن الآخر ولا يأتي في كلامه بما يحصل به التمييز فيما بعد، بل يقصد إبهام الأمر فيهما.

هذا: والإبهام مختص بالفنون وحدها لا غير، كالمديح والهجاء وما في المعنى، ولكن لا يفهم من ألفاظه مدح وهجاء، بل يكون ألفاظه صالحا للأمرين.

فصل: أسلوب الحكيم: أو اللغز في الجوب: أو القول بالموجب: وهو تلقى المخاطب بغير ما يترقبه، إما بترك سؤاله والإجابة عن سؤال لم يسأله، وإما بحمل كلامه على غير ما كان يقصد، إشارة إلى أنه كان ينبغي أن يسأل هذا السؤال أو يقصد هذا المعنى. والحمل هذا: كاد أن يكون في معنى الترك والإجابة عن السؤال الغير، والترك والإجابة أيضا كادا أن يكونا في معنى الحمل. أو أن يخاطب المتكلم مخاطبا بكلام فيعمد المخاطب إلى كلمة مفردة من كلام المتكلم، فيبنى عليها من لفظه ما يوجب عكس معنى المتكلم.

هذا: وقسم القزويني: الباب إلى قسمين: أحدهما: أن تقع صفة في كلام الغير كناية عن شيء أثبت له حكم فتثبت في كلامك تلك الصفة لغير ذلك الشيء من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم أو انتفائه.

مثاله قوله تعالى: {يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين}، فإنهم كنوا "بالأعز" عن فريقهم، و"بالأذل" عن فريق المؤمنين، وأثبتوا للأعز "الإخراج"، فأثبت الله في الرد عليهم صفة {العزة} لله ولرسوله وللمؤمنين من غير تعرض لثبوت حكم الإخراج للموصوفين بصفة العزة ولا لنفيه عنهم.

والقسم الثاني: هو حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه. وهذا القسم هو الذي شاع تداوله بين الناس ونظمه أصحاب البديعيات.

قال الله تعالى: {يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج}. وقال تعالى: {ويسألونك ما ذا ينفقون، قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل}.

فصل: المذهب الكلامي: وهو اشتمال المعنى على حجة بالغة يتجنب العقلاء ردها لشدة تمكنها من الأنفس، ولا يقع إلا في الاعتذار غالبا. أو هو أن يورد المتكلم حجة لما يدعيه على طريق أهل

الكلام. أو هو: إيراد حجة للمطلوب على طريقة أهل المنطق، وهي أن تكون المقدمات مسلمة مستلزمة للمطلوب.

والباب وجد منه في القرآن أشياء كثيرة، قال تعالى: {لو كان فيهما ءالهة إلا الله لفسدتا}، وقال تعالى: {وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده، وهو أهون عليه}. وقال تعالى: {فلما أفل قال لا أحب الأفلين}. وقال تعالى: {قل فلم يعذبكم بذنوبكم}. وقال تعالى: {يأيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب}.

فصل: التسليم: وهو أن يفرض المتكلم فرضا محالا، إما منفيا، أو مشروطا بحرف الامتناع، ليكون ما ذكره ممتنع الوقوع لامتناع وقوع شرطه، ثم يسلم وقوع ذلك تسليما جدليا، ويدل على عدم الفائدة على تقدير وقوعه. قال الله تعالى: {ما اتخذ الله من ولد. وما كان معه من إله. إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض}.

فصل: نفي الشيء بإيجابه: وهو أن ينفى متعلق أمر عن أمر فيوهم إثباته له، والمراد نفيه عنه أيضا. أو هو أن يثبت شيئا في ظاهر كلامه، وينفي ما هو من سببه مجازا، والمنفي في باطن الكلام حقيقة هو الذي أثبته.

قال الله تعالى: {لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله}. فإن نفي إلهاء التجارة عنهم يوهم إثباتها لهم، والمراد نفيها أيضا. وقال تعالى: {ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع}. وقال تعالى: {لا يسألون الناس إلحافا}.

فصل: عكس الظاهر: وهو أن تذكر كلاما يدل ظاهره على معنى، ويراد به معنى آخر عكسه. قال الله تعالى: {ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له فإنما حسابه عند ربه}. وقال تعالى: {وإن جاحداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما}. وقال تعالى: {إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق}.

فصل: تأنيث المذكر: أو التأنيث: قال الشاعر:

يا أيها الراكب المزجي مطيته + سائلْ بني أسد ما هذه الصوتُ؟

فصل: تذكير المؤنث: أو التذكير: قال الله تعالى: {فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي}. وقال تعالى: {إن رحمة الله قريب من المحسنين}.

فصل: تصور معنى الواحد للجماعة: أو التصور: قال الله تعالى: {ومن الشياطين من يغوصون له}.

فصل: تصور معنى الجماعة للواحد: قال الله تعالى: {بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون}.

فصل: تقدم المفعول على الفعل: أو التقدم: قال الله تعالى: {إياك نعبد وإياك نستعين}.

فصل: تقديم الظرف على المظروف: أو التقديم: قال الله تعالى: {إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم}.

فصل تقديم المظروف على الظرف: قال الله تعالى: {ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه}. والقياس "لا فيه ريب" وإنما أخر الظرف لأن القصد نفي الريب عن هذا الكتاب، فوقع الإهتمام بتأخير الظرف لحصر النفي.

فصل: جعل الخبر على المبتدإ، أو الجعل: قال الله تعالى: {أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم}.

فصل: تقديم الأكثر على الأقل: قال الله تعالى: {وأورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا، فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله}.

فصل: الطرد والعكس: وهو أن يؤتى بكلامين يقرر الأول بمنطوقه مفهومَ الثاني، وبالعكس. قال الله تعالى: {لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون}. وقال تعالى: {جاء الحق وزهق البطل}.

فصل: الترقي: أو أسلوب الترقي: وهو أن يذكر معنى ثم يردف بما هو أبلغ منه. قال الله تعالى: {هو الله الخالق البارئ المصور}. وقال تعالى: {ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى}. وقال تعالى: {لا تأخذه سنة ولا نوم}.

فصل: السلب والإيجاب: وهو أن يبنى الكلام على نفي شيء من جهة وإثباته من جهة أخرى، أو الأمر به من جهة والنهي عنه من أخرى وما أشبه ذلك. أو أن يقصد المتكلم اختصاص شيء بصفة، فينفيها عن جميع الناس ثم يثبتها له مدحا أو ذما. قال الله تعالى: {ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما}.

فصل: الإيضاح: أن يذكر المتكلم كلاما ظاهره لبس فلا يفهم من أول وهلة حتى يوضحه في بقية كلامه.

فصل: تجاهل العارف: أو سوق المعلوم مساق غيره لنكتة، كالتوبيخ أو المبالغة في المدح، أو للتعريض.

وهو سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة تجاهلا منه لنكتة.

أو هو إخراج ما يعرف صحته مخرج ما يشك فيه ليزيد بذلك تأكيدا.

قال تعالى: {هل ندلكم على رجل إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد}. وقال تعالى: {وما تلك بيمينك يا موسى}. وقال تعالى: {وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين}. وقال تعالى: {أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون}.

هذا: وقيل الباب له اسمان، أحدهما تجاهل العارف، والآخر يقال له الإعنات، فأما الأول فيطلق على ما هو من النظم والنثر، والثاني على ما هو من الكتاب العزيز، وذلك أدبا مع الآيات الكريمة، إذ لا يصح إطلاق تسمية تجاهل العارف، على شيء من آيات القرآن الكريم.

فصل: براعة الاستهلال: أو حسن الابتداء: أو حسن الإبتداءات: أو حسن الافتتاح: أو براعة المطلع: عند قوم: أو حسن الابتداء الأصل، وبراعة الاستهلال الفرع.

وأحسن الابتداءات ما ناسب المقصود بإشارة لطيفة، وهو أن يأتي الناظم أو الناثر في ابتداء كلامه بما يدل على مقصوده منه بالإشارة لا بالتصريح. أو أن يجعل أول الكلام رقيقا سهلا، واضح المعاني، مستقلا عما بعده، مناسبا للمقام، بحيث يجذب السامع إلى الإصغاء بكليته، لأنه أول ما يقرع السمع، وبه يعرف مما عنده. قال الله تعالى: {ونادى نوح ربه فقال رب إن إبني من أهلي}.

وهو في النظم وفي النثر: وشرطه في النظم أن يكون المطلع دالاً على ما بنيت القصيدة عليه من غرض الشاعر. وفي النثر: أن يكون افتتاح الخطبة أو الرسالة أو ما في المعنى، دالا على غرض المتكلم.

قال ابن رشيق: "إن حسن الإفتتاح داعية الانشراح، ومطية النجاح". وقال في الخزانة: "إعلم أنه اتفق علماء البديع على أن براعة المطلع: عبارة عن طلوع أهلة المعاني واضحة في استهلالها، وأن لا يتجافى بجنوب الألفاظ عن مضاجع الرقة، وأن يكون التشبيب بنسيبها مرقصا عند السماع وطرق السهولة متكلفة لها بالسلامة من تجشم الحزن ومطلعها مع اجتناب الحشو ليس له تعلق بما بعده، وشرطوا أن يجتهد الناظم في تناسب قسميه بحيث لا يكون شطره الأول أجنبيا من الشطر الثاني....".

قال النابغة: كليني لهم يا أميمة ناصب + وليل أقاسيه ببطئ الكواكب

هذا: فإذا أحسن الناظم حسن الإبتداء أو البراعة، كان من فرسان الميدان، وإن لم يحصل له ذلك فليجتهد في سلوك ما يقوله ما استطاع.

ويجب على المنشيء أن يحترز في أول كتابه أو قصيدته من ذكر ما يتطير منه، أو ما لا يفهم معناه في المطلع إلا بكلفة، وأن يتأمل أحوال الممدوح فيجتنب ما يكره الممدوح ذكره ويعدى إلى غيره، لأن الإبتداءات أول ما يطرق السمع، فينبغي أن تكون مناسبة للمعنى المطلوب غير أجنبية ولا مكروهة للسامع.

فصل: التخلص: الخروج والإنتقال مما أُبتدئ به الكلام إلى الغرض المقصود برابطة تجعل المعاني آخذا بعضها برقاب بعض، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من نسيب إلى مديح أو غيره لشدة الالتئام والانسجام.

فصل: حسن الخروج: أو الإستطراد، أو حسن التخلص: أو براعة التخلص، وهو الإنتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به، لم يقصد بذكر الأول التوصل إلى ذكر الثاني، قال الله تعالى: {يبني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم وريشا ولباسُ التقوى ذلك خير، ذلك من ءايات الله لعلكم تذكرون}.

هذا: وقد يكون الثاني هو المقصود فيذكر الأول قبله ليتوصل إليه.

هذا: ومن سمى الاستطراد "حسن التخلص" فقد أخطأ، لأن حسن التلخص باب مستقل بذاته، وإن شابهه، وهو يعني الإنتقال مما شبب الكلام به من تشبيب أو غيره إلى المقصود مع رعاية الملائمة بينهما.

فصل: براعة المقطع: وأحسن الانتهاءات ما آذن بانتهاء الكلام.

فصل: براعة الطلب: وهو عبارة عن أن تكون ألفاظ الطلب مهذبة خالية عن الالحاف، مشعرة بما في نفس الطالب من غير تصريح، بعد تعظيم الممدوح، وتقديم الوسيلة الحاملة للمسؤول على انجاح الطلب، وهذا هو الموضع الثالث من المواضع الأربعة التي نبه أرباب البلاغة على التأنق فيها لأنه إذا كان على الصفة المذكورة كان أنجح المطلب، وآكد في قضاء الغرض. قال الله تعالى: {أفرأيتم ما كنتم تعبدون. أنتم وآباؤكم الأقدمون. فإنهم عدو لي إلا رب العالمين. الذي خلقني فهو يهدين. والذي هو

يطعمني ويسقيني. وإذا مرضت فهو يشفيني. والذي يميتني ثم يحييني. والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين}.

فصل: حسن الإتباع: وهو أن يأتي المتكلم إلى معنى اخترعه غيره فيحسن اتباعه فيه بحيث يستحق بوجه من الوجوه الزائدة التي توجب للمتأخرين استحقاق معنى التقدم.

فصل: حسن التنسيق: أو حسن النسق: أو التنسيق: أو حسن الإرتباط: أو حسن الترتيب: أو التمزيج: أو التعريج: وهو أن يأتي المتكلم بالكلمات من النثر والأبيات من الشعر، متتاليات متلاحمات تلاحما سليما مستحسنا مستبهجا، وتكون جملها ومفرداتها متسقة متوالية، إذا أفرد منها البيت قام بنفسه واستقل معناه بلفظه.

وهو على نوعين: أحدهما: تنسيق الصفات. وهو أن يذكر للشيء صفات متوالية. قال الله تعالى: {هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر}.

الثاني: أن يؤتى بكلمات متتاليات معطوفات متلاحمات، تلاحما سليما مستحسنا، بحيث إذا أفردت كل جملة منه قامت بنفسها، واستقل معناها بلفظها. قال الله تعالى: {وقيل يا أرض ابلعي ماءك، ويا سماء أقلعي، وغيض الماء، وقضي الأمر، واستوت على الجودي، وقيل بعدا للقوم الظالمين}.

فإن جمله معطوف بعضها على بعض بواو النسق على الترتيب الذي تقتضيه البلاغة من الابتداء بالأهم الذي هو انحسار الماء عن الأرض المتوقف عليه غاية مطلوب أهل السفينة، من الإطلاق من سجنها، ثم إنقطاع ماء السماء المتوقف عليه تمام ذلك من دفع أذاه بعد الخروج ومنع اخلاف ما كان بالأرض، ثم الإخبار بذهاب الماء بعد انقطاع المادتين الذي هو متأخر عنه قطعا، ثم قضاء الأمر الذي هو هلاك من قدّر هلاكه ونجاة من قدر نجاته، وأخّر عما قبله، لأن علم ذلك لأهل السفينة بعد خروجهم موقوف على ما تقدم، ثم أخبر باستواء السفينة واستقرارها المفيد ذهاب الخوف وحصول الأمن من الإضطراب، ثم ختم بالدعاء على الظالمين لإفادة أن الغرق وأن عمّ الأرض فلم يشمل إلا من استحق العذاب لظلمه.

فصل: حسن البيان: وهو عبارة عن الإفصاح عما في النفس بألفاظ سهلة بليغة، بعيدة عن اللبس من غير حشو مستغنى عنه، يكاد يستر وجه حسن البيان، ويغطي واضح التبيان حتى لا يكون.

والنوع ليس له مثال يختص به، بل كل كلام دل على ما في النفس، وأعرب عما في الضمير بعبارة بليغة دخل في حد هذا النوع، والعلم في ذلك كلام الله العظيم الذي هو النور المبين. قال الله تعالى: {وضرب لنا مثلا ونسي خلقه. قال من يحي العظام وهي رميم. قل يحييها الذي أنشأها أول مرة. وهو بكل خلق عليم}.

فصل: براعة الختام أو براعة الخاتمة أو براعة الإختتام أو براعة الإنتهاء، أو حسن الختام: أو حسن الخاتمة أو حسن الاختتام أو حسن الانتهاء: أو براعة المقطع أو حسن المقطع: وهو أن يجعل المتكلم آخر كلامه الذي يقف عليه عذب اللفظ، حسن السبك، صحيح المعنى، مشعرا بالتمام، حتى يتحقق براعة المقطع بحسن الختام، وأحسنه ما أذن بانتهاء الكلام حتى لا يبقى للنفس تشوق إلى ما ورائه. وذلك لأنه آخر ما يعيه السمع ويرتسم في النفس، فإن كان مختارا كما وصفنا جبر ما عساه وقع فيما قبله من التقصير، وإن كان غير مختار كان بخلاف ذلك، وربما أنسى محاسن ما قبله.

فصل: ذكر التعليل: أو براعة التعليل: وهو أن يريد المتكلم ذكر حكم واقع أو متوقع، فيقدم من قبلُ ذكرَ علة وقوعه، لكون رتبة العلة تتقدم على المعلول. قال الله تعالى: {لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم}.

فصل: حسن التعليل: وهو أن يدعى لوصف علة مناسبة له باعتبار. أو أن ينكر الأديب صراحة أو ضمنا علة الشيء المعروفة، ويأتي بعلة أدبية طريفة تناسب الغرض الذي يرمي إليه.

ولا بد في العلة أن تكون ادعائية، ثم الوصف أعم من أن يكون ثابتا فيقصد بيان علته أو غير ثابت فيراد إثباته.

وأقسامه أربعة: لأن الوصف إما ثابت قصد به بيان علته، أو غير ثابت أريد إثباته، والأول إما أن لا يظهر له في العادة علة، أو يظهر له علة غير المذكورة، والثاني إما ممكن، أو غير ممكن.

فصل: لزوم ما لا يلزم: أو الالتزام: أو الإعنات: أو التضييق: أو التشديد: وهو إعنات الشاعر في القوافي وتكلفه من ذلك ما ليس له.

وقال القزويني: "هو أن يجيء قبل حرف الروي أو ما في معناه من الفاصلة ما ليس بلازم في السجع"، ومعنى هذا: أن يلتزم الناثر في نثره أو الناظم في نظمه بحرف قبل الروي أو بأكثر من حرف بالنسبة إلى قدرته مع عدم التكلف.

قال الله تعالى: {اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق}. وقال تعالى: {فلا أقسم بالخنس الجواري الكنس}. وقال تعالى {والطور وكتاب مسطور}. وقال تعالى: {فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون. أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون}. وقال تعالى: {فلا أقسم بالشفق. والليل وما وسق. والقمر إذا اتسق}. وقال تعالى: {قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد. قال لا تختصموا لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد}.

فصل: التجريد: أن ينتزع المتكلم من أمر ذي صفة أمرا آخر مثله فيها مبالغة، وذلك لكمال تلك الصفة في الأمر الآخر. واعترض على التعريف بأنه لا يشمل ما كان من التجريد نحو: لا خيل عندك تهديها ولا مال. لأنه لم يجرد شيئا مثل نفسه في صفة من الصفات، وإنما جرد من ذاته ذاتا أخرى من غير اعتبار صفة، فالأحسن تعريف التجريد بأنه "انتزاع أمر من آخر مطلقا"، والأحسن أيضا أن تجعل نكتته العامة التفنن في الأسلوب كالإلتفات لتقاربهما، وإن كان مبني الالتفات على اتحاد المعنى، ومبني التجريد على التغاير بينهما بحسب الاعتبار، وقد يجتمعان في مثل. أو هو: "إخلاص الخطاب لغيرك وأنت تريد به نفسك، لا المخاطب نفسه"، ثم وهو على أقسام:

منها ما يكون التجريد فيه حاصلا بلفظ "من" التجريدية، نحو "لي من فلان صديق حميم" أي بلغ فلان من الصداقة حدا صح معه أن يستخلص من فلان هذا صديق آخر مثله في الصداقة.

ومنه ما يكون التجريد فيه حاصلا بلفظ "الباء" التجريدية، الداخلة على المنتزع منه، نحو قولهم: "لئن سألت فلانا لتسألن به البحر"، وهذا القول يقال في مقام المبالغة في وصف "فلان" بالكرم، حيث انتزع وجرد منه بحر في الكرم والسماحة.

ومنه ما يكون التجريد فيه حاصلا بلفظ "باء المعية" الداخلية على المنتزع.

ومنه ما يكون التجريد فيه حاصلا بدخول لفظة "في" على المنتزع منه، نحو قوله تعالى: {لهم فيها دار الخلد}، أي لهم في جهنم، وهي دار الخلد، لكنه انتزع دارا أخرى مثلها وجعلها معدة في جهنم لأجل الكفار تهويلا لأمرها، ومبالغة في اتصافها بالشدة.

ومنه ما يكون التجريد فيه حاصلا بدون توسط حرف.

ومنه ما يكون التجويد فيه حاصلا بطريق الكناية، كقول الأعشى:

يا خير من يركب المطي ولا + يشرب كأسا بكف من بخلا.

ففي البيت تجريد بطريق الكناية حيث انتزع وجرد من الممدوح جوادا يشرب هو بكفه على طريق الكناية، لأنه إذا نفى عنه الشرب بكف البخيل، فقد أثبت له الشرب بكف الكريم، ومعلوم أنه يشرب بكفه، فهو ذلك الكريم.

ومنه مخاطبة الإنسان نفسه، بأن ينزع من نفسه شخصا آخر يوجه الخطاب إليه.

فصل: الإلغاز: وهو أن يجيء المتكلم بعدة أوصاف في ألفاظ مشتركة من غير ذكر الموصوف، ويشير بها إلى مقصود مجهول، أو باسم حروفه قابلة، للتغيير أو التوجيه، فإذا أراد كشف الاسم الموصوف نبه عليه بتصحيف شيء من حروف الهجاء، أو تبديلها في اسمه، أو نقص شيء منها، أو زيادة أو وجه من غير هذه الوجوه.

فصل: الكناية: لفظ أريد به لازم معناه، مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي، وهي بالمعنى جزء من الإستعارة، وتختلف عنها في أن الإستعارة لفظ صريح، كأن تقول: تنفس الصبح، بينما الكناية ضد التصريح، لأنها عدول عن ظاهر اللفظ إلى معناه، نحو فلان مقطّب الجبين، كناية عن حزنه، أو أشم الأنف، كناية عن كبريائه، ومن ثم قيل: كل كناية استعارة، وليس كل استعارة كناية. إذا فبينهما عموم وخصوص. فالكناية أعم، والاستعارة أخص. قال الله تعالى: {أو جاء أحد منكم من الغائط}.

فصل: الإكتفاء: إدخال موجود الكلام على محذوفه. وهو حذف بعض الألفاظ لدلالة الباقي عليه، قال تعالى: {واسأل القرية التي كنا فيها}. أي أهل القرية.

أو هو: إتيان الشاعر ببيت من الشعر وقافيته متعلقة بمحذوف، فلم يفتقر إلى ذكر المحذوف لدلالة باقي لفظ البيت عليه، ويكتفي بما هو معلوم في الذهن فيما يقتضي تمام المعنى.

فصل: التعريض: التلميح بالمعنى دون الكشف والتصريح. أو أن يكنى المتكلم بشيء عن آخر لا يصرح به ليأخذه السامع لنفسه ويعلم المقصود منه. وهو أحد أغراض الكناية السبعة، وما: تحسين المعنى: كقولك لمن لا يحسن الفصاحة: أفصح من قس. وتهجين المعنى: للترغيب في الابتعاد عنه، نحو قوله تعالى: {ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط}، حيث كني بذلك عن التنفير من البخل والتبذير. والعدول عن شيء مستكره، نحو قوله تعالى: {فلا تقل لهما أف}. أي لا تتضجر من الوالدين بل امتثل لأمرهما. والإيماء أو الإشارة: والمدح. والذم. ثم التعريض نفسه.

فصل: التوهيم: وهو عبارة عن إتيان المتكلم بكلمة توهم باقي الكلام قبلها أو بعدها أن المتكلم أراد تصحيفها أو تحريفها باختلاف بعض إعرابها أو اختلاف معناها أو اشتراك لغتها بأخرى أو وجها من وجوه الاختلاف والأمر بضد ذلك.

قال الله تعالى: {وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون}. فإن القياس أن يكون [ثم لا ينصروا] الاخبار لأنه معطوف على مجزوم، لكن لما كان [المراد] الاخبار بأنهم لا ينصرون أبدا ألغى العطف وأبقى صيغة الفعل على حالها لتدل على الحال والاستقبال.

فصل: الإحتراس: أن يأتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه فيه دخل فيفطن له، فيأتي بما يخلصه من ذلك. قال الله تعالى: {أسلك يدك إلى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء}. وقال تعالى: {لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون}. وقال تعالى: {قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون}.

فصل: المواربة: أن يقول المتكلم قولا يتضمن ما ينكر عليه فيه بسببه ويتوجه عليه المؤاخاة، فإذا حصل الانكار عليه استحضر بحذفه وجها من الوجوه التي يمكن التخلص بها من تلك المؤاخذة، إما بتحريف كلمة أو تصحيفها أو بزيادة أو نقص أو غير ذلك. أو أن يجعل المتكلم كلامه بحيث يمكنه أن يغير معناه بتحريف أو تصحيف أو غيرهما ليسم من المؤاخذة.

فصل: التشبيب: وهو أن يقدم قبل الشروع في الكلام ما يمهد المرام وهو على وجوه:

منها: التغزل قبل التمدح. ومنها: التثبت على الخطاب الهائل تلطفا بالمخطوب. قال الله تعالى: {عفا الله عنكا لم أذنت لهم}.

ومنها: التنبه على إلقاء السمع للخطاب الخطير وشهود القلب لما يعنى به من الخطب الجليل.

قال ثعلب: حروف التهجي في الفواتح بمنزلة {ألا}، كمن أراد الاخبار بمهم، جرك الحاضر بيديه، أو صاح به مرة ليقبل بكله إليه.

ومنها: الإيذان على مكانة ما يمهد له. قال الله تعالى: {إن الذين يؤذون الله ورسوله}.

فصل: الرجوع: العود على الكلام السابق بالنقص لنكتة. أو هو أن يقول شيئا ويرجع عنه: كقول بشار: نبئت فاضحَ أمه يغتابني + عند الأمير، وهل عليه أمير

فصل: الإلتفات: أو الانصراف: وهو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار، وعن الإخبار إلى المخاطبة وما في المعنى. ومن ذلك الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر. قال الله تعالى: {حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة} وقال تعالى: {إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد}. ثم قال: {وبرزوا لله جميعا}. أو هو أن يكون المتكلم آخذا في معنى من المعاني فيعترضه فيه شك أو يظن أن سائلا يسأله عن سببه، فكأنه يلتفت إليه فيذكر السبب أو يبطل الإيراد بكلام غير ما هو آخذ فيه. أو هو أن يدخل قضية كلية ليست غريبة عن جملة القول، بل القول مندرج تحت طيها وهي ترجع عليه بالتوكيد والتثبيت.

هذا: وحاصل الباب الانتقال من إحدى الصيغ هذي، وهي: الحكاية والخطاب أو الحضور والغيبة، والفعل المستقبل، والأمر، والتثنية والجمع والواحد، وما في المعنى، إلى الأخرى منها، لمفهوم واحد رعاية لنكتة، وهو على أقسام:

أولها: الانتقال من الغيبة إلى الخطاب قال تعالى: {الحمد لله رب العالمين .... إلى قوله إياك نعبد وإياك نستعين}.

وثانيها: من الخطاب إلى الغيبة: {أن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون. وتقطعوا أمرهم بينهم}.

وثالثها: من الحكاية إلى الغيبة: قال الله تعالى: {حم والكتاب المبين ..... إلى قوله: إنا كنا مرسلين. رحمة من ربك إنه هو السميع العليم}.

ورابعها: من الغيبة إلى الحكاية: {فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح}.

وخامسها: من الخطاب إلى الحكاية: قال الله تعالى: {وإذ طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن .... إلى قوله تعالى: ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم والآخر}.

وسادسها: من الحكاية إلى الخطاب. قال الله تعالى: {ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون}.

وسابعها: من المستقبل إلى الأمر: قال الله تعال: {قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك، وما نحن لك بمؤمنين، إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء، قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون}.

وثامنها: من التثنية إلى الجمع ومن الجمع إلى الواحد. قال الله تعالى: {وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة، وبشر المؤمنين}.

وتاسعها: من الواحد إلى الجمع: قال الله تعالى: {وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون}.

وعاشرها: الإخبار بالفعل المضارع عن الماضي: قال الله تعالى: {والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت}.

وحادي عشرها: الإخبار بالماضي عن المضارع: قال الله تعالى: {وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين}.

فصل: الاعتراض: من محاسن الكلام في الشعر والنثر، وهو أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الاعراب. قال الله تعالى: {ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون}. وقال تعالى: {فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين. نساؤكم حرث لكم}. وقال تعالى: {قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم}. وقال تعالى: {وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها}. وقال تعالى: {وإنه لقسم لو تعلمون عظيم}.

فصل: المراجعة: أو السؤال والجواب: وهو أن يحكي المتكلم مراجعة في القول ومحاورة في الحديث بينه وبين غيره، بأوجز عبارة وأرشق سبك وألطف معنى وأسهل لفظ، إما في بيت واحد أو في أبيات.

فصل: اللف والنشر: أو الطي والنشر: وهو ذكر متعدد على التفصيل أو الإجمال، ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعيين، على ثقة بأن السامع يرده إليه لعلمه بذلك بالقرائن اللفظية أو المعنوية.

وهذا يعني أن تذكر شيئين فصاعدا، إما تفصيلا فتنص على كل واحد منهما، وإما إجمالا فتأتي بلفظ واحد يشتمل على متعدد، وتفوض إلى العقل رد كل واحد إلى ما يليق به من غير حاجة إلى أن تنص أنت على ذلك. فهو على قسمين:

القسم الأول: ذكر المتعدد على التفصيل، وهو ضربان:

أحدهما: المرتب: أن يكون النشر على ترتيب اللف، بأن يكون الأول من المتعدد في النشر للأول من المتعدد في اللف، والثاني للثاني، وهكذا إلى الآخر، والضرب الأكثر في الباب والأشهر.

قال الله تعالى: {ومن رحمته أن جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله}.

هذا: وقد افتن القوم في النوع من اللف والنشر المفصل المرتب، إلى أن بلغوا فيه بالجمع بين عشرة وعشرة.

وحسن النوع هذا، يتمثل في أن يكون اللف والنشر في بيت واحد خاليا من الحشو والتعقيد، جامعا بين سهولة اللفظ والمعاني المخترعة، غير أن المبالغة والإسراف في كثرة المتعدد منه تخرج به عن دائرة العلم، وتجرده من نعوت الحسن، وترده إلى نوع من العبث الذي يدعو إلى العجب منه بدل الإعجاب به.

والثاني: هو ما يجيء على غير ترتيب اللف، ومنه المعكوس، قال الله تعالى: {فمحونا ءاية الليل وجعلنا ءاية النهار مبصرة، لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب}. وقال تعالى: {وما كان قول المؤمنين إلا أن قالوا ربنا اغفرلنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الظالمين}. ومنه المختلط المشوش، نحو: "هو ليل وورد ومسك، خدا وأنفاسا وشعرا".

والقسم الثاني: ما ذكر المتعدد فيه على الإجمال، نحو قوله تعالى: {وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى}. فالضمير في "قالوا" لأهل الكتاب من اليهود والنصارى، فذكر الفريقين على وجه الإجمال بالضمير العائد إليهما، ثم ذكر ما لكل منهما، أي قالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان هودا، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى.

فلف بين القولين إجمالا ثقة بقدرة السامع على أن يرد إلى كل فريق قوله، وأمنا من الإلتباس، وذلك لعلمه بالتعادي بين الفرقتين وتضليل كل واحد منهما لصاحبه بدعوى أن داخل الجنة هو لا صاحبه، والقسم لا يقتضي ترتيبا أو عدم ترتيب.

فصل: ومن بديع الباب، أن يذكر متعددان أو أكثر، ثم يذكر في نشر واحد ما يكون لكلٍ من أفراد كل من المتعددين، كقول القائل: "الغنى والفقر والعلم والجهل بها تحيا الشعوب وبها تموت".

فصل: التقسيم: وهو أن يذكر متعدد، ثم يضاف إلى كل من أفراده ماله على جهة التعيين.

قال الله تعالى: {كذبت ثمود وعاد بالقارعة. فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية. .....}.

وقيل: أن يستوفي المتكلم جميع أقسام الكلمة التي يمكن وجودها، غير تارك منها قسما واحدا. قال تعالى: {ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا، فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله}.

وقال تعالى: {وكنتم أزواجا ثلاثة، فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة. وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة. والسابقون السابقون أولئك المقربون}. قلت: وهذا القول أشبه بـ"صحة التقسيم" وشواهده تدل على ذلك، وذلك إن لم يكن إياه، ويقوي الرأي ما يليه.

هذا: ويطلق الإصطلاح على استيفاء أقسام الشيء. قال تعالى: {له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى}. وعلى ذكر أحوال الشيء مضافا إلى كل منها ما يليق به. قال تعالى: {فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم}.

فصل: الجمع: وهو أن يجمع بين متعدد في حكم واحد، أو هو أن يجمع المتكلم بين شيئين فأكثر في حكم واحد، كقوله تعالى: {المال والبنون زينة الحياة الدنيا} وقوله تعالى: {الشمس والقمر بحسبان، والنجم والشجر يسجدان}، وقال تعالى: {واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة}. وقال تعالى: {إنما الخمر والميسر والأنصاب الأزلام رجس من عمل الشيطان}.

فصل: التفريق: وهو إيقاع تباين بين أمرين من نوع واحد في المدح وغيره. وهذا معناه أن المتكلم أو الناظم يأتي إلى شيئين من نوع واحد، فيوقع بينهما تباينا وتفريقا، بفرق يفيد زيادة وترجيحا فيما هو بصدده من مدح أو ذم أو نسيب أو غيره من الأغراض الأدبية. قال تعالى: {وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج}.

فصل: الجمع مع التقسيم: وهو جمع متعدد تحت حكم ثم تقسيمه، أو العكس: أي تقسيم متعدد ثم جمعه تحت حكم.

فالأول هو جمع المتعدد ثم تقسيمه، قال الله تعالى: {الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى}.

وكقول المتنبّي، حيث يصف موقعة دارت بين الروم والعرب بقيادة سيف الدولة بالقرب من بحيرة الحديث:

حتى أقام على أرباض خرشنة + تشقى به الروم والصلبان والبيع

للسبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا + والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا

فالمتنبي هنا جمع الروم ممثلين في نسائهم وأولادهم وأموالهم وزرعهم تحت حكم واحد هو الشقاء، ثم قسم ذلك الحكم إلى سبي وقتل ونهب وإحراق، وأرجع إلى كل قسم من هذي الأقسام ما يلائمه ويناسبه، فأرجع للسبي ما نكحوا، وللقتل ما ولدوا، وللنهب ما جمعوا، وللنار ما زرعوا، أي إتلاف مزارعهم بالإحراق.

ومع أن الصلبان والبيع تشترك بالعطف مع الروم في الحكم عليها بالشقاء، إلا أن التقسيم خص بالروم وقصر عليهم وحدهم.

والثاني: هو التقسيم ثم الجمع، أو بعبارة أخرى هو تقديم التقسيم، وتأخير الجمع في الحكم عليه، نحو قول حسان بن ثابت:

قوم إذا حاربوا ضروا عدوهمو + أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا

سجية تلك منهم غير محدثة + إن الخلائق فاعلم شرها البدع

فالشاعر قسم في البيت الأول صفة الممدوحين إلى ضر الأعداء في الحرب ونفع الأشياع والأولياء، ثم عاد فجمعها في البيت الثاني حيث قال: "سجية تلك".

والنوع الأول هنا كما يبدو أحسن وأوقع في القلوب من الثاني، وعليه مشى أصحاب البديعيات.

فصل: الجمع مع التفريق: وهو الجمع بين شيئين في حكم واحد من جهة، ثم التفريق بينهما في ذلك الحكم من وجهة أخرى.

وذلك نحو قوله تعالى: {وجعلنا الليل والنهار آيتين، فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة}. فالمعنى الأول أن الله تعالى جعل الليل والنهار آيتين، أي دليلين على قدرته وحكمته، والمراد بمحو آية خلقها ممحوا ضوءها، أي جعلها مظلمة كما جعل آية النهار مبصرة.

فجمع بين الليل والنهار في حكم واحد وهو أنهما آيتان ودليلان على القدرة والحكمة، ثم فرق بينهما في ذلك الحكم من جهة أن الليل يكون مظلما والنهار يكون مضيئا. وقال تعالى: {خلقتني من نار وخلقته من طين}.

فصل: الجمع مع التفريق والتقسيم: وهو الجمع بين شيئين أو أشياء في حكم واحد، ثم التفريق بينها في ذلك الحكم، ثم التقسيم بين الشيئين أو الأشياء المفرقة بأن يضاف إلى كل ما يلائمه ويناسبه.

وذلك نحو قوله تعالى: {يوم يأتي لا تكلم نفس إلا بإذنه، فمنهم شقي وسعيد، فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق، خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك، إن ربك فعال لما يريد. وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ}.

فالجمع في قوله تعالى: "يوم يأتي لا تكلم نفس إلا بإذنه" فإن قوله: "نفس" متعدد معنى، أي جمع الأنفس بقوله: "لا تكلم نفس" ثم فرق بينهم بأن بعضهم شقي وبعضم سعيد، ثم قسم بأن أضاف إلى الأشقياء ما لهم من عذاب النار، وإلى السعداء ما لهم من نعيم الجنة.

فصل: التطريز: وهو أن يكون صدر النثر أو الشعر مشتملا على ثلاثة أسماء مختلفة المعاني، ويكون العجز صفة متكررة بلفظ واحد. قال الشاعر:

وتسقيني وتشرب من رحيق + خليق أن يلقب بالخلوق

كأن الكأس في يدها وفيها + عقيق في عقيق في عقيق

فصل: الاطراد: والإطراد هو أن يأتي بأسماء الممدوح أو غيره وبآبائه أو ما في المعنى على ترتيب الولادة أو ما في المعنى من غير تكلف في السبك، حتى تكون الأسماء في تحدرها كالماء الجاري في اطراده وسهولة انسجامه. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم".

فصل: التوشيع: وهو عبارة عن اتيان المتكلم أو الشاعر باسم مثنى في آخر الكلام أو البيت لم يكن بعده إلا مفردان هما عين ذلك المثنى، فيكون الأخير منهما هو قافية البيت أو سجعة الكلام.

فصل: الترديد: أن يعلق الشاعر لفظة في بيت واحد ثم يرددها فيه بعينها ويعلقها بمعنى آخر. قال تعالى: {لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون}.

وقال زهير: ومن هاب أسباب المنايا ينلنه + ولو رام أسباب السماء بسلم

فصل: التكرير: وهو أن يكرر المتكلم الكلمة أو الكلمتين بلفظها ومعناها لتأكيد الوصف أو المدح أو غيره من الأغراض. قال الله تعالى: {وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال}.

هذا: وهو قسمان: الاول: أن يعاد اللفظ بعينه، وهو على وجوه: فمنها: أن يكرر ليناط به حكم آخر. قال الله تعالى: {وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم. ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين. ليحق الحق}. وقال تعالى: {ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر}. وقال تعالى: {فبأي آلاء ربكما تكذبان}. وقال تعالى: {الله نور السموات والأرض مثل نوره ... كمشكاة فيها مصباح المصباح ... في زجاجة الزجاجة ....}.

ومنها: أن يعاد ليقرر المعنى: {يا قوم اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد. يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع}.

ومنها: أن ينوه بشأن المذكور: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: {الكريم بن الكريم ابن الكريم ابن الكريم، يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم}. أي عريق النسب في وصف الكريم.

ومنها: أن يلتذ بذكره كما قيل:

سقى الله نجدا والسلام على نجد + ويا حبذا نجد على النأي والبعد

نظرت إلى نجد وبغداد دونها + لعلي أرى نجدا وهيهات من نجد

والثاني: أن يكرر المعنى دون اللفظ تأكيدا. وهو نوعان. أحدهما: أن يقع في غير جملة. قال الله تعالى: {أولئك لهم عذاب من رجز أليم}. وقال تعالى: {إنما أشكو بثي وحزني إلى الله}.

وثانيهما: أن يقع في الجمل، وهو على وجوه: فمنها: أن يؤتى بالخاص بعد العام. قال الله تعالى: {ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر}.

ومنها: أن يؤتى بالعام بعد الخاص. قال الله تعالى: {ولا تنقصوا المكيال والميزان .... ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين}.

فصل: تأكيد المدح بما يشبه الذم: أو الإستثناء: أو المدح في معرض الذم: أو النفي والجحود: وذلك بسبب لزوم استعمال "غير أن" و "إلا أنّ" و"سوى أن" و"بيد أن" وما في المعنى، وهذي الأدوات تأتي في الباب بمعنى "لكن" التي هي للاستدراك، ويجري الاستدراك فيها مجرى الاستثناء.

والباب على ضربين: أولهما: وهو في الوقت ذاته أفضلهما، أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها في صفة الذم.

وذلك نحو قول النابغة الذبياني:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم + بهن فلول من قراع الكتائب

فالنابغة هنا نفى أولا عن ممدوحيه صفة العيب ثم عاد فأثبت لهم بالاستثناء عيبا هو أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب، وهي ليست في الواقع صفة ذم وإنما هي صفة مدح أثبتها الشاعر لممدوحيه وأكدها بما بشبه الذم.

وتأكيد المدح في هذا الضرب من وجهين: أحدهما أن التأكيد فيه هو من جهة أنه كدعوى الشيء ببينة وبرهان، كأنه استدل على أنه لا عيب فيهم بأن ثبوت عيب لهم معلق بكون فلول السيف عيبا وهو محال.

والوجه الثاني: أن الأصل في مطلق الاستثناء الاتصال، بمعنى أن المستثنى يكون داخلا في المستثنى منه وفردا من أفراده، وعلى هذا فإذا قيل: "ولا عيب فيهم غير ..." فإن السامع يتوهم بمجرد التلفظ بأداة الاستثناء "غير" أو نحوها وقبل النطق بما بعدها أن ما يأتي بعدها وهو المستثنى لابد أن يكون صفة ذم، فإذا ولي أداة الاستثناء صفة مدح تبدد توهم السامع بهذي المفاجأة التي لم يكن يتوقعها. لقد توهم أن الذي سيلي أداة الاستثناء لابد أن يكون صفة ذم فإذا به يفاجأ بأنها صفة مدح. ومن هنا يجيء التوكيد لما فيه من المدح على المدح، ومن الإشعار بأن المتكلم لم يجد صفة ذم يستثنيها فاضطر إلى استثناء صفة مدح وتحويل الاستثناء من متصل إلى منقطع.

والضرب الثاني: من تأكيد المدح بما يشبه الذم، يتمثل في إثبات صفة مدح لشيء تعقبها أداة استثناء، يكون المستثنى بها صفة مدح أخرى له.

ومثال ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "أنا أفصح العرب بيد أني من قريش"، و"بيد" بمعنى "غير" وهو أداة استثناء، وأصل الاستثناء في هذا الضرب أن يكون منقطعا، ولم يقدر متصلا لأنه ليس هنا صفة ذم منفية عامة يمكن تقدير دخول صفة المدح فيها.

وإذا لم يمكن تقدير الاستثناء متصلا في هذا الضرب فلا يفيد التوكيد إلا من الوجه الثاني، وهو أن ذكر أداة الاستثناء يوهم إخراج شيء مما قبلها من حيث أن الأصل في مطلق الاستثناء هو الإتصال، فإذا ذكر بعد الأداة صفة مدح أخرى جاء التوكيد.

هذا: ومن الباب: أن يؤتى بمستثنى فيه معنى المدح معمولا لفعل فيه معنى الذم، وذلك نحو قوله تعالى: {وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا}. أي وما تعيب منا إلا الإيمان بالله الذي هو أصل المناقب والمفاخر كلها.

فالفعل: {تنقم} فيه معنى العيب والذم، والمستثنى بإلا وهو مصدر الإيمان المؤمل من "أن آمنا" يتضمن صفة مدح، وهو في الوقت ذاته معمول الفعل {تنقم}. فهذا المثال ونظائره مما تأتي فيه صفة المدح الواقعة بعد أداة الاستثناء معمولا لفعل فيه معنى الذم، يعد ضربا آخر من تأكيد المدح بما يشبه الذم.

فصل: تأكيد الشيء بما يشبه نقيضه. هذا: وتجدر الإشارة إلى أن تسمية الباب بالمسمى، نظرا إلى الأعم الأغلب، وإلا فقد يكون ذلك في غير المدح والذم، ويكون من محسنات الكلام، كقوله تعالى: {ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف}، يعني إن أمكنكم أن تنكحوا ما قد سلف، فانكحوه فلا يحل لكم غيره، وذلك غير الممكن.

والغرض بطبيعة الحال هنا هو المبالغة في تحريم النوع من الزواج، وسد الطريق إلى إباحته. وممكن تسمية ما في معنى النوع بـ"تأكيد الشيء بما يشبه نقيضه".

فصل: تأكيد الذم بما يشبه المدح: وهو ضربان:

أحدهما: أن يستثنى من صفة مدح منفية عن الشيء صفة ذم، بتقدير دخولها في صفة المدح. وذلك كقول القائل: "فلان لا خير فيه إلا أنه يسيء إلى من أحسن إليه".

وثانيهما: أن يثبت للشيء صفة ذم، وتعقب بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى له، وذلك كقول القائل: "فلان فاسق إلا أنه جاهل".

فالضرب الأول: يفيد التأكيد من وجهين، والثاني من وجه واحد.

فصل: الاستتباع: أو المضاعف: أو التعليق: أو الموجه: وهو المدح بشيء على وجه يستتبع المدح بشيء آخر. أو الوصف بشيء على وجه يستتبع الوصف بشيء آخر مدحا أو ذما. أو عبارة عن الوصف بشيء يستتبع وصفا آخر من جنس الوصف الأول، مدحا كان أو ذما أو ما في المعنى.

فصل: جمع المؤتلف والمختلف: وهو عبارة عن أن يريد الشاعر التسوية بين ممدوحين، فيأتي بمعان مؤتلفة في مدحهما، ويروم بعد ذلك ترجيح أحدهما على الآخر بزيادة فضل لا ينقص بها مدح الآخر، فيجيء لأجل الترجيح بمعان تخالف معاني التسوية.

فصل: الإشتقاق: أن يشتق المتكلم من الإسم العلم معنى في غرض يقصده من مدح أو هجاء أو ما في المعنى.

فصل: الهجو في معرض المدح: وهو أن يقصد المتكلم هجاء إنسان فيأتي بألفاظ موجهة ظاهرها المدح، وباطنها القدح، فيوهم أنه يمدحه وهو يهجوه.

فصل: التهكم: الهزء والسخرية بالمتكبر، كمخاطبتهم بالإجلال في موضع التحقير، والبشارة في موضوع التحذير، والوعد في موضع الوعيد، وهو الإتيان بلفظ البشارة في الإنذار، أو ما في المعنى. قال الله تعالى: {بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما}. وقال تعالى: {ذق إنك أنت العزيز الكريم}. وقال تعالى: {قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين}. وقال تعالى: {وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل}، وقال تعالى: {فبشرهم بعذاب أليم}.

هذا: والفرق بين الهجاء في معرض المدح وبين التهكم: أن التهكم لا تخلو ألفاظه من اللفظ الدال على نوع من أنواع الذم أو لفظة توهم من فحواها الهجو. وألفاظ المدح في معرض الذم لا يقع فيها شيء من ذلك، ولا تزال تدل على ظاهر المدح حتى يقرن بها ما يصرفها عنه.

فصل: الهزل الذي يراد به الجد: فترجمته تغني عن تفسيره. أو هو أن يقصد المتكلم مدح انسان أو ذمه، فيخرج من ذلك المقصد مخرج الهزل والمجون اللاحق بالحال.

والفرق بين التهكم وبين الهزل: أن التهكم ظاهره جد وباطنه هزل، والآخر ظاهره هزل وباطنه جد.

فصل: النزاهة: هجو بألفاظ تليق به، وما إذا سمعته العذراء في خدرها لا تنفر منه. قال الله تعالى: {وإذا دعوا إلى الله وسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون، وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين، أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم وسوله، بل أولئك هم الظالمون}.

فألفاظ الذم المخبر عنها في كلام الآية أتت منزهة عما يقع في غير هذا القسم من الفحش في الهجاء.

فصل: المغايرة: وهي مدح الشيء بعد ذمه، أو ذمه بعد مدحه: قال الله تعالى: {وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس}. وقال تعالى: {يسألونك عن الخمر والميسر. قل فيهما إثم كثير ومنافع للناس}. وكقول الحريري في مدح الدينار: أكرم به أصفر راقت صفرته

ثم ذمه في قوله فيما بعد فقال: تبا له من خادع ممازق.

فصل: المبالغة: أن يدعي المتكلم لوصفٍ بلوغَه في الشدة أو الضعف حدا مستبعدا أو مستحيلا، وهي على ثلاثة:

الأول: التبليغ: إن كان ذلك الإدعاء ممكنا عقلا وعادة، قال تعالى: {ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها}.

والثاني الإغراق: إن كان الادعاء ممكنا عقلا لا عادة، كقول القائل:

ونكرم جارنا ما دام فينا + ونتبعه الكرامة حيث مالا

والثالث الغلو: إن كان الإدعاء مستحيلا عقلا وعادة، كقول القائل:

تكاد قسيّه من غير رام + تمكن في قلوبهم النبالا

فصل: والغلو منه ما هو مقبول وما هو مردود: فالمقبول ثلاثة:

الأول: ما اقترن به ما يقر به للصحة "ككاد" في قوله تعالى: {يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار} و"لو" في قوله تعالى: {لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله}.

الثاني: ما تضمن حسن تخييل، كقول المتنبي:

عقدت سنابكُها عليها عثيرا + لو تبتغي عنقا عليه لأمكنا

وقول المعري:

يذيب الرعب منه كل عضب + فلولا الغمد يمسكه لسالا

الثالث: ما أخرج مخرج الهزل والخلاعة، كقول النظّام:

توهمه طرفي فآلم طرفه + فصار مكان الوهم في خدّه أثر

ومر بفكري خاطرا فجرحته + ولم أر خلقا قط يجرحه الفكر

فصل: التذييل: أن يأتي القائل بكلام آخر بعد تمام كلامه الأول، وحسن السكوت عليه بجملة تحقق ما قبلها من الكلام وتزيده توكيدا وتجري مجرى المثل بزيادة التحقيق. قال الله تعالى: {وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا}. وقال تعالى: {ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور}. وقال تعالى: {إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله ...}.

فصل: حصر الجزئي وإلحاقه بالكلي: وهو أن يعظم المتكلم جنسا من أنواع الكلام ويحصر فيه الأنواع المستغرقة لنوع ذلك الجنس حتى يبالغ فيه. قال الله تعالى: {وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو، ويعلم ما في البر والبحر ......}. وقال الشاعر:

فبشرتُ آمالي بملك هو الورى + ودار هي الدنيا ويوم هو الدهر.

فعظّم الممدوح بأن جعله كل الناس وهو جزء من الناس، وفخم أمر داره التي قصده فيها حتى جعلها الدنيا، وهي جزء من الدنيا، ويومه الذي لقيه فيه حتى جعله الدهر وهو جزء من الدهر، فهذا هو حصر الجزئي وإلحاقه بالكلي.

فصل: القَسم: وهو أن يحلف المتكلم على شيء فيحلف بما يكون له مدحا وما يكسبه فخرا وما يكون تمريضا لغيره. قال الشاعر:

حلفت بمن سوى السماء وشادها + ومن مرج البحرين يلتقيان

ومن قام في المعقول من غير رؤية + بأثبت من إدراك كل عيان

لما خلقت كفاك إلا لأربع + عقائل لم تعقل لهن ثوان

لتقبيل أفواه وإعطاء نائل + وتقليب هندي وحبس عنان

فصل: التفويف: هو أن يؤتى في الكلام بمعان متلائمة في جمل مستوية المقادير أو متقاربتها.

أو هو عبارة عن اتيان المتكلم بمعان شتى من أغراض الشعر من غزل، أو مدح، أو ما في المعنى في جمل من الكلام، كل جملة منفصلة عن أختها، طويلة كانت أو قصيرة، وأحسنها القصار.

فصل: الكلام الجامع: أن يأتي الشاعر ببيت مشتمل على حكمة أو وعظ أو غير ذلك من الحقائق التي تجري مجرى الأمثال، ويتمثل الناظم بحكمها أو وعظها أو بحالة تقتضي إجراء المثل.

فصل: الإبداع: وهو أن تكون في الكلام عدة أنواع من البديع. وقيل: وربما كان في كل كلمة من الكلام ضرب من البديع أو ضربان، ومَن قال: "ومتى لم تكن كل كلمة بهذي المثابة فليست بإبداع". قال الله تعالى: {وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين}.

ففي الآية اثنان وعشرون بابا من العلم، مع كون الآية سبع عشرة لفظة، فهي على الترتيب:

1. المناسبة التامة بين ابلعي وأقلعي.
2. الإستعارة فيهما. على أن الاستعارة ليست من العلم أبوابه عند كثير من القوم.
3. الطباق بين الأرض والسماء.
4. المجاز في قوله "يا سماء" فإن الحقيقة يا مطر.
5. الإشارة في "وغيض الماء" فإنه عبر به عن معان كثيرة، فإن الماء لا يغيض حتى يقطع مطر السماء، وتبلع الأرض ما يخرج منها من عيون الماء.
6. الإرداف في قوله "واستوت على الجودي" فإنه عبر عن استقرارها في المكان بلفظ قريب من لفظ المعنى.
7. التمثيل في قوله "وقضي الأمر" فإنه عبر عن هلاك الهالكين ونجاة الناجين بلفظ بعيد عن الموضوع.
8. التعليل: فإن غيض الماء علة الإستواء.
9. التقسيم: فإنه استوفى أقسام الماء حال نقصه.
10. الإحتراس: في قوله "وقيل بعدا للقوم الظالمين" إذ الدعاء يشعر بأنهم مستحقو الهلاك احتراسا من ضعيف يتوهم أن الفرق لعمومه ربما يشمل غير المستحق.
11. الإنسجام: فإن الآية منسجمة كالماء الجاري في سلاسته.
12. حسن التنسيق: فإنه تعالى قص القصة وعطف بعضها على بعض بحسن الترتيب.
13. ائتلاف اللفظ مع المعنى: لأن كل لفظة لا يصلح لمعناها غيرها.

14. الإيجاز: فإنه سبحانه وتعالى: أمر فيها ونهى، وأخبر ونادى، ونعت وسمى، وأهلك وأبقى، وأسعد وأشقى، وقص بالأنباء ما لو شرح لجفت الأقلام.

15. التسهيم: إذ أول الآية يدل على آخرها.

16. التهذيب: لأن مفرداتها موصوفة بصفات الحسن، لأن كل لفظة سهلة مخارج الحروف، عليها رونق الفصاحة، سليمة من التنافر بعيدة عن عقادة التراكيب.

17. حسن البيان: لأن السامع لا يشكل عليه في فهم معانيها شيء.

18. الإعتراض: وهو قوله وغيض الماء واستوت على الجودي.

19. الكناية: فإنه لو لم يصرح بمن أغاض الماء، ولا بمن قضى الأمر، وسوى السفينة، ولا بمن قال وقيل بعدا، كما لم يصرح بقائل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي في صدر الآية سلوكا في كل واحد من ذلك سبيل الكناية.

20. التعريض: فإنه تعالى عرّض بسالكي مسالكهم في تكذيب الرسل ظلما. وأن الطوفان وتلك الصورة الهائلة ما كانت إلا بظلمهم.

21. التمكين: لأن الفاصلة قارة متمكنة في موضعها.

22. الإبداع الصدد المشهود له: وأقول وفيها غير ذلك من السلب والإيجاب، وقد أفردت الآية الشريفة بتآليف لما اشتملت عليه من البلاغة حتى عد بعض القوم فيها مائة وخمسين نوعا، من العلم، وأجمع المعاندون على أن طوق البشر عاجز عن الإتيان بمثلها.

فصل: الإفتنان: وهو الجمع بين فنين مختلفين، كالغزل والحماسة، والمدح والهجاء، والتعزية والتهنئة، وما في المعنى. قال الله تعالى: {ثم ننجي الذين اتقوا وندروا الظالمين فيها جثيا}. وقال تعالى: {كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام}.

فصل: إرسال المثل: أو الإرسال: وهو إتيان الشاعر أو المتكلم في بعض بيت بما يجري مجرى المثل من حكمة أو نعت أو غير ذلك مما يحسن التمثل به. قال الله تعالى: {ليس لها من دون الله كاشفة}. وقال تعالى: { وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب. صنع الله الذي أتقن كل شيء}. وقال تعالى: {صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة}. وقال تعالى: {إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسئتم فلها}.

فصل: الإشارة: وهو أن يعبر المتكلم إلى معاني كثيرة بكلام قليل، يشبه الإشارة باليد، فإن المشير بيده يشير دفعة واحدة إلى أشياء لو عبر عنها بلسانه لاحتاج إلى ألفاظ كثيرة. قال الله تعالى: {وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين}.

فصل: التتميم: الاتيان في النظم والنثر بكلمة إذا طرحت من الكلام نقص حسنه ومعناه. وهو ضربان: ضرب في المعنى وضرب في اللفظ. قال الله تعالى: {من عمل صالحا من ذكر وأنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة}.

باب اللفظية

اللفظية أو المحسنات اللفظية، أو محسنات اللفظ، وهي التي يكون التحسين بها راجعا إلى اللفظ أصالة، وإن حسنت المعنى أحيانا تبعا، كالجناس في قوله تعالى: {ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة}، فالساعة الأولى يوم القيامة، والساعة الثانية واحدة الساعات الزمانية، فلو غير اللفظ الثاني إلى ما يرادفه، زال ذلك المحسن، فلو قيل في الشرح: "ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا إلا قليلا، لضاع ذلك الحسن، وهو الجناس.

فصل: ويتضمن الباب: الجناس والرد والسجع والموازنة والقلب والتشريع، وما في المعنى.

فصل: الجناس أو التجنيس أو المجانسة أو التجانس أو المماثلة: وهو أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها على السبيل الذي ألف الأصمعي كتاب الأجناس عليها. وقال الخليل: "الجنس لكل ضرب من الناس والطير والعروض والنحو، فمنه: ما تكون الكلمة تُجانس أخرى في تأليف حروفها ومعناها ويشتق منها، مثل قول الشاعر من الكامل: يوم خلجتَ على الخليج نفوسَهم

أو يكون تَجانسها في تأليف الحروف دون المعنى، مثل قول الشاعر من البسيط:

إنْ لومَ العاشقِ اللومُ

أو هو "أن يتشابه اللفظان نطقا ويختلفا معنى".

قال الله تعالى: {وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين}، وقال تعالى: {فأقم وجهك للدين القيم} وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عُصيةُ عصت الله، وغفار غفر الله لها" وقال أيضا: "الظلم ظلمات" .

ولا يشترط في الجناس تشابه جميع الحروف، بل يكفي في التشابه ما يعرف به المجانسة.

ولا يستحسن إلا إذا ساعد اللفظ المعنى ووازى مصنوعه مطبوعه مع مراعاة النظير، وتمكن القرائن فينبغي أن ترسل المعاني على سجيتها لتكتسي من الألفاظ ما يزينها حتى لا يكون التكلف في الجناس مع مراعاة الألتئام، والجناس أن يتفق اللفظان في النطق ويختلفان في المعنى. وهو إلى لفظي ومعنوي.

فصل: الجناس اللفظي تام وغير تام، فالتام: ما اتفق فيه اللفظان في أنواع حروفهما وأعدادها وهيئتها الحاصلة من الحركات والسكنات، وترتيبها. وهو مماثل: ومستوفى ومركب، فالمماثل: ما كان لفظاه من نوع واحد من أنواع الكلمة، بأن يكونا اسمين أو فعلين أو حرفين.

قال تعالى: {يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار}. والمستوفى: هو ما اختلف لفظاه. والمركب: وهو ما كان أحد لفظيه كلمة واحدة والآخر مركب من كلمتين، وهو على ثلاثة: متشابه: وهو ما تشابه ركناه، لفظا وخطا. ومفروق: وهو ما تشابها لفظا لا خطا. ومرفو: وهو ما يكون فيه أحد اللفظين كلمة والآخر مركبا من كلمة وجزء من كلمة.

وغير التام: ما اختلف اللفظان في واحد من الأربعة السابقة، فاختلافهما في أنواع الحروف بأن لا يقع الإختلاف بأكثر من حرف واحد، وهذا على ضربين، أحدهما: مضارع: وهو ما كان فيه الحرفان اللذان وقع فيهما الإختلاف متقاربين في المخرج، كانا في أول اللفظ أو في وسطه أو في آخره، والثاني الآخر: لاحق: ما كانا فيه متباعدين في المخرج، كانا أولا أو وسطا أو آخرا.

واختلافهما في العدد: يسمى ناقصا، وما على ضربين، أحدهما: ما زيد بحرف واحد، جاء أولا أو وسطا أو آخرا، وسمى "مطرفا".

والأخر الثاني: ما زيد بأكثر من حرف واحد في آخره، وسمي "مذيلا".

واختلافهما في الهيئة على ضربين، أحدهما: محرّف: وهو ما اتفق لفظاه، في الحروف عددا وترتيبا، واختلفا في الحركات، كانا من أي نوعٍ، فإن القصد اختلاف الحركات. قال تعالى: {ولقد ارسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين}.

والثاني الآخر: مصحف: وهو ما اتفق لفظاه في عدد الحروف وترتيبها واختلفا في النقط فقط.

قال الله تعالى: {والذي هو يطعمني ويسقيني وإذا مرضت فهو يشفيني} وقال تعالى: {وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا}.

واختلافهما في الترتيب: "جناس القلب" أو "جناس العكس"، وهو على أربعةٍ، "قلب كل" و"قلب بعض"، وهو ما اختلف فيه اللفظين في ترتيب بعض الحروف. و"قلب مجنح" وهو ما كان فيه أحد اللفظين اللذين وقع بينهما القلب في أول البيت والثاني في آخره، كأنهما جناحان للبيت. و"مستو" أو المقلوب أو "مقلوب الكل" وعرفه الحريري في المقامات بـ"ما لا يستحيل بالانعكاس"، وهو أن يكون عكس لفظي الجناس كطردهما، بمعنى أنه يمكن قراءتهما من اليمين والشمال دون أن يتغير المعنى، نحو قوله تعالى: {كل في فلك} فإنك لو عكست هذا التركيب فبدأت من الكاف في {فلك} إلى الكاف في {كل} كان هو بعينه. وقال تعالى: {وربك فكبر}.

فصل: "الجناس الملفق"، أن يكون كل من اللفظين مركبا من كلمتين.

فصل: التصحيف: التشابه في الخط بين كلمتين فأكثر، بحيث لو أزيل أو غير نقطة كلمة كانت عين الأخرى، نحو: التخلي، ثم التجلي، ثم التحلي.

فصل: الإزدواج: وهو تجانس اللفظين المتجاورين: نحو من جدّ وجد، ومن لجّ ولج.

فصل: والجناس المعنوي: جناس إضمار وجناس إشارة: فالأول: أن تأتي بلفظ يحضر في ذهنك لفظا آخر وذلك اللفظ المحضر يراد به غير معناه بدلالة السياق. نحو:

منعم الجسم تحكي الماء رقته + وقلبه قسوة يحكي أبا أوس

وأوس شاعر مشهور من شعراء العرب، واسم أبيه حجر، فلفظ أبي "أوس" يحضر في الذهن اسمه وهو حجر، وهو غير مراد، وإنما المراد الحجر المعلوم.

والثاني: وهو ما ذكر فيه أحد الركنين، وأشير للآخر بما يدل عليه، وذلك إذا لم يساعد الشعر على التصريح به.

فصل: إذا دخل الجناس نفي عد طباقا، كقول الفرزدق:

لعمري لئن قل الحصى في عديدكم + بني نهشل مالؤمكم بقليل

فظاهره جناس، وباطنه تطبيق، لأن معنى "قل الحصا في عديدكم" انكم كثرة، ومعنى "مالؤمكم بقليل" انه كثير". قال الله تعالى: {هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون}.

فصل: القلب: أو المقلوب والمستوي: أو مقلوب الكل: أو ما لايستحيل بالانعكاس: وهو أن يكون عكس البيت أو الشطر أو الجملة كطرده أو طردها. قال الله تعالى: {وربك فكبر} وقال تعالى: {كل في فلك}.

فصل: الإرصاد: أو التوشيح: أو التبيين: أو التسهيم: أو المطمع: وهو أن يبنى الشاعر البيت من شعره على قافية قد أرصدها له، بحيث إذا أنشد صدر البيت عرف ما يأتي في قافيته، وهو من محمود العلم، فإن خير الكلام ما دل بعضه على بعض.

وقال العسكري: "هو أن يكون مبدأ الكلام ينبئ عن مقطعه، وأوله يخبر بآخره، وصدره يشهد بعجزه، حتى لو سمعت شعرا وعرفت رويه ثم سمعت صدر بيت منه، وقفت على عجزه قبل بلوغ السماع إليه.

قال الله تعالى: {وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا، ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون}. وقال تعالى: {فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا، ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من خسفنا به الأرض، ومنهم من أغرقنا، وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون}. وقال تعالى: {مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا، وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت}. وقال تعالى: {إذا لهم مكر في آياتنا قل الله أسرع مكرا إن رسلنا يكتبون ما تمكرون}.

فصل: السجع: توافق الفاصلتين من النثر على حرف واحد. قال السكاكي: "السجع في النثر كالقافية في الشعر". أو كما قال.

والأصل في السجع الاعتدال في مقاطع الكلام. وتكون الألفاظ فيه حلوة حادة لا غثة ولا باردة.

وكل واحدة من الفقرتين أو السجعتين المزدوجتين تدل على معنى غير المعنى الذي اشتملت عليه الأخرى. فإن كان المعنى فيهما سواء فذلك هو التطويل بعينه، لأن التطويل إنما هو الدلالة على المعنى بألفاظ يمكن الدلالة عليه بدونها، وإذا وردت سجعتان يدلان على معنى واحد كانت إحداهما كافية في الدلالة عليه.

فالشروط: ثلاثة: الأول: اختيار مفردات الألفاظ المسجوعة والتراكيب، بحيث تكون بعيدة عن الغثاثة والبرودة.

والثاني: أن يكون اللفظ في الكلام المسجوع تابعا للمعنى لا المعنى تابعا للفظ.

والثالث: أن تكون كل واحدة من الفقرتين المسجوعتين دالة على معنى غير المعنى الذي دلت عليه أختها.

والسجع أربعة: المطرف والمرصع والمتوازي والمشطر: فالمطرف ما اختلفت فيه الفاصلتان أو الفواصل وزنا، واتفقت رويا، وذلك بأن يرد في أجزاء الكلام سجعات غير موزونة عروضيا، وأن يكون رويها روي القافية، قال تعالى: {ما لكم لا ترجون لله وقارا. وقد خلقكم أطوارا}.

هذا: ومن يقول بأن السجع غير مختص بالنثر، وإنما يدخل النثر والشعر معا — قول أبي تمام:

تجلى به رشدي وأثرت به يدي + وفاض به ثمدي وأورى به زندي

والترصيع: مقابلة كل لفظة من فقرة النثر أو صدر البيت بلفظة على وزنها ورويها. قال تعالى: {إن الأبرار لفي نعيم. وإن الفجار لفي جحيم}. وقال تعالى: {إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم}.

والمتوازي: أن تتفق اللفظة الأخيرة من القرينة أي الفقرة مع نظيرتها في الوزن والروي، قال تعالى: {فيها سرر مرفوعة، وأكواب موضوعة}.

والمشطور: أو التشطير، أن يكون لكل شطر من قافيتان مغايرتان لقافية الشطر الثاني، وهو خاص بالشعر.

فصل: وأحسن السجع وأشرفه: ما تساوت فقراته في عدد الكلمات، قال تعالى: {فأما اليتيم فلا تقهر. وأما السائل فلا تنهر}. وقال تعالى: {في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود}.

هذا: ثم ما طالت به الفقرة الثانية عن الأولى طولا لا يخرج بها عن الاعتدال كثيرا، وذلك لئلا يبعد على السامع وجود القافية فتذهب اللذة، وقال تعالى: {والنجم إذا هوى. ما ضل صاحبكم وما غوى}، وقال تعالى: {وقالوا اتخذ الرحمن ولدا. لقد جئتم شيئا إدا. تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا}. فإن الفقرة الأولى ثمان لفظات والثانية تسع.

ثم ما طالت فقرته الثالثة نحو قوله تعالى: {خذوه فغلوه. ثم الجحيم صلوه. ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه}.

ولا يحسن أن يؤتى بالفقرة الثانية أقصر من الأولى كثيرا، لأن السجع قد استوفى أمده من الفقرة الأولى بحكم طوله، ثم تجيء الفقرة الثانية قصيرة عن الأولى، فتكون كالشيء المبتور فيبقى الإنسان عند سماعها كمن يريد الانتهاء عند غاية فيعثر دونها.

فصل: والسجع طويل وقصير، فالقصير ما تكون كل واحدة من السجعتين مؤلفة من ألفاظ قليلة، وكلما قلت الألفاظ كان أحسن لقرب الفواصل أو الفقرات المسجوعة من سمع السامع. والضرب أوعر السجع مذهبا وأبعده متناولا، ولا يكاد استعماله يقع إلا نادر.

والطويل: ضد الأول وأسهل تناولا، وإنما كان القصير من السجع أوعر مسلكا من الطويل، لأن المعنى إذا صيغ بألفاظ قصيرة عز تحقيق السجع فيه لقصر تلك الألفاظ، وضيق المجال في استجلابه.

وأما الطويل فإن الألفاظ تطول فيه، ويستجلب له السجع، وكل واحد من هذين الضربين تتفاوت درجاته في عدة ألفاظه.

وأحسن القصير ما كان مؤلفا من لفظتين لفظتين، قال تعالى: {والمرسلات عرفا. فالعاصفات عصفا}. وقال تعالى: {يا أيها المدثر. قم فأنذر. وربك فكبر. وثيابك فطهر. والرجز فاهجر}. ومنه ما يكون مؤلفا من ثلاثة ألفاظ وأربعة وخمسة، وكذلك إلى العشرة، وما زاد على العشرة فمن الطويل، قال تعالى: {والنجم إذا هوى. ما ضل صاحبكم وما غوى. وما ينطق عن الهوى}. وقال تعالى: {اقتربت الساعة وانشق القمر. وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر. وكذبوا واتبعوا أهوائهم وكل أمر مستقر}.

وأما الطويل فإن درجاته تتفاوت أيضا في الطول، فمنه ما يقرب من القصير، وهو أن يكون تأليفه من إحدى عشرة إلى اثنتي عشرة لفظة، وأكثره خمس عشرة لفظة، قال تعالى: {ولئن أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعنها منه إنه ليئوس كفور. ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني، إنه لفرح فخور}. فالفاصلة الأولى إحدى عشرة لفظة، والثانية ثلاث عشرة لفظة.

ومنه ما يكون تأليفه من العشرين لفظة فما حولها، قال تعالى: {إذ يريكهم الله في منامك قليلا، ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الأمر، ولكن الله سلم، إنه عليم بذات الصدور. وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا وإلى الله ترجع الأمور}. ومنه ما يزيد على ذلك.

فصل: والسجع يبنى على سكون الأعجاز، أي أواخر فواصل الفقرات، لأن الغرض هو التواطؤ والمزاوجة بينها، ولا يتم ذلك في من صورة إلا بالوقف على السكون.

فصل: الموازنة: تساوي الفاصلتين في الوزن دون التقفية. وقال ابن الأثير: "... أن تكون ألفاظ الفواصل في الكلام المنقور متساوية في الوزن، وأن يكون صدر البيت الشعري وعجزه متساوي الألفاظ وزنا". وللكلام بذلك طلاوة ورونق وسببه الاعتدال، لأنه مطلوب في جميع الأشياء، وإذا كانت مقاطع الكلام معتدلة وقعت من النفس موقع الاستحسان وهذا لا مراء فيه لوضوحه.

قال الله تعالى: {ونمارق مصفوفة. وزرابي مبثوثة}، وقال تعالى: {وآتيناهما الكتاب المستبين. وهديناهما الصراط المستقيم}. وقال تعالى: {واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا. كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا. ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا. فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا}. فمعظم آي القرآن جار على الباب، حتى إنه لا يكاد يخرج منه شيء من السجع والموازنة.

هذا: والنوع من الكلام أخو السجع في المعادلة دون المماثلة، لأن في السجع اعتدالا وزيادة على الاعتدال، هي تماثل أجزاء الفواصل لورودها على حرف.

وأما الموازنة ففيها الاعتدال الموجود في السجع ولا تماثل في فواصلها، فيقال إذن: "كل سجع موازنة، وليس كل موازنة سجعا"، وعلى هذا فالسجع أخص من الموازنة.

فصل: التجزئة: أن يأتي المتكلم ببيت ويجزئه جميعه أجزاء عروضية، ويسجعها كلها على وزنين مختلفين جزأ يجزأ أحدهما على روي يخالف روي البيت، والثاني على روي البيت.

فصل: العكس: وهو أن تقدم في الكلام جزءا ثم تعكس، بأن تقدم ما أخرت وتؤخر ما قدمت.

هذا: فقد يكون بين أحد طرفي جملة وما أضيف إليه ذلك الطرف نحو قولهم: "كلام الملوك، ملوك الكلام".

وقد يكون بين متعلقي فعلين في جملتين. قال تعالى: {يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي}.

وقد يكون بين لفظين في طرفي الجملتين. قال تعالى: {لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن}.

وقد يكون بين طرفي الجملتين. وقد يكون بترديد مصراع البيت معكوسا؟

فصل: التصدير، أو رد العجز على الصدر: وهو رد أعجاز الكلام على ما تقدمها، وهو إلى ثلاثة أقسام:

فمنها ما يوافق آخر كلمة في نصف الأول. ومنه ما يوافق آخر كلمة منه أول كلمة في نصفه الأول. ومنه ما يوافق آخر كلمة فيه بعض ما فيه.

قال الله تعالى: {انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض، وللآخر أكبر درجات وأكبر تفضيلا}. وقال تعالى: {لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب، وقد خاب من افترى}. وقال تعالى: {ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون}. وقال تعالى: {أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدي فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين}. وقال تعالى: {وأحسنوا إن الله يحب المحسنين}.

فصل: والتصدير يرد في النثر وفي الشعر على السواء، وهو في النثر أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما في أول الفقرة والآخر في آخرها. وهو في النظم أن يكون أحدهما في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الأول أو آخره أو صدر المصراع الثاني.

واللفظان المكرران هنا المتفقان في اللفظ والمعنى، والمتجانسان هما المتشابهان في اللفظ دون المعنى، والملحقان بهما إي بالمتجانسين وهما اللفظان اللذان يجمعهما الاشتقاق أو شبه الاشتقاق.

فمثل المكررين وأحدهما في أول الفقرة والثاني في آخرها قوله تعالى: {وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه}.

ومن المتجانسين، أي المتشابهين لفظا لا معنى، وأحدهما في أول الفقرة والثاني في آخرها قول القائل: "سائل اللئيم يرجع ودمه سائل".

ومن اللفظين اللذين يجمعهما الاشتقاق أو شبهه، وأحدهما في أول الفقرة والثاني في آخرها قوله تعالى: {استغفروا ربكم إنه كان غفارا}. وقال تعالى: {وأحسنوا إن الله يحب المحسنين}.

ومن اللفظين اللذين يجمعهما شبه الاشتقاق، قوله تعالى: {قال إني لعملكم من القالين}. فاللفظة الأولى هنا {قال}، مشتقة من القول، واللفظة الأخيرة واحدها {قالٍ} بالتنوين اسم فاعل مشتق من القلي بكسر القاف وهو البغض، فيجمع بينهما شبه الاشتقاق من جهة اللفظ لا المعنى.

هذا: ويشبه الترديد وليس به، وذلك أن الفرق بينهما أن هذا مخصوص بالقوافي ترد عجز البيت على الصدور مع اتحاد معلقها، وذلك في حشو البيت غالبا.

فصل: التشكيل: أن تأتي في الأبيات مواضع متقابلة كأنها طرز أي شكل. قال أبو تمام:

أعوام وصل كأن ينسي طيبها + ذكر النوى فكأنها أيام

ثم انبرت أيام هجر اعقبت + بجوى أسى فكأنها أعوام

ثم انقضت تلك السنون وأهلها + فكأنها وكأنهم أحلام.

فصل: التوزيع: وهو أن يوزع المتكلم حرفا من حروف الهجاء في كل لفظة من كلامه نظما كان أو نثرا، بشرط عدم التكلف. قال الله تعالى: {كي نسبحك كثيرا. ونذكرك كثيرا. إنك كنت بنا بصيرا}. فالكاف ملزوم في جميع الكلمات سوى الفاصلة.

فصل: التلوين: وهو أن ينظم الشاعر أبياتا، أو يأتي المتكلم بجمل بحيث تؤلف الحروف الأولى منها اسما، هو غالبا اسم حبيبته، أو جملةً أو جملا ما هو غرضه.

فصل: التفصيل: وهو أن يأتي المتكلم بشطر بيت له متقدم في نثره أو نظمه، سواء كان صدرا أو عجزا يفصل به كلامه بعد أن يؤطىء له توطئة ملائمة.

فصل: التمليط: وهو أن يتساجل شاعران، فيصنع هذا شطرا وذاك شطرا آخر، لينظر أيهما ينقطع قبل صاحبه، ويروى من هذا القبيل: أن امرأ القيس قال للحارث بن التوأم اليشكري: إن كنت شاعرا كما تقول فملط أنصاف ما أقول، فأجزها، قال نعم" فجعلا في ذلك يتساجلا.

باب الخطية

فصل: التوأّم: وهو الشعر الذي تشابهت ألفاظه رسما، واختلفت نقطا، أو ما في المعنى تقريبا. حتى إذا أبدلت نقط بعضها ظهرت لها معان جديدة، وأغلب ما تكون الكلمات المتوائمة متجاورة.

فصل: التخييف: هو أن يأتي الشاعر أو المتكلم بألفاظ واحدة معجمة "منقوطة" وأخرى مهملة، أي غير معجمة على التوالي، بأي إحداهما ابتدأ، وبأيها اختتم.

هذا: ولعلهم أخذوا التسمية من قولهم: خيف الانسان وغيره خيفا: كانت إحدى عينيه زرقاء والأخرى سوداء كحلا.

فصل: الإرقاط: وهو أن يأتي الشاعر أو المتكلم بحروفه معجمة ومهملة على التوالي، بأي صفة ابتدأ، وأخذوا التسمية من قولهم "ثوب أرقط" أي فيه رقطة، وهي لون مؤلف من بياض وسواد، أو من حمرة وصفرة وغيرهما.

فصل: التحلي: وهو أن يأتي المتكلم أو الشاعر بما هو منقوطة كلماته كلها.

فصل: التعاطل: وهو أن يأتي المتكلم أو الشاعر بما هو مهمول حرفه كله، وهو مأخوذ من "عطل المرأة" وهو خلوها من الحلي.

فصل: التقطيع: وهو أن يأتي المتكلم أو الشاعر بما هو كلماته كلها ذات الأحرف المنقطعة وهي التي لا يتصل بعضها ببعض. قال صفي الدين الحلّي، من المتقارب:

إذا زار داري زور ودود + أودّ وأورده ورد ودّي

وإن رام زادي إذا ورد + أداوي أذاه رام وردي

وإن زاره وارد ردًى + أردّ أذى رداه أيّ ردّ

فصل: التوصيل: وهو أن يأتي الشاعر أو المتكلم بما هو كلماته ذات الأحرف المتصلة وهي التي يتصل بعضها ببعض.

فصل: التلمّع: هو أن يأتي الشاعر أو المتكلم بشطر معجم والآخر مهملا، وبأي إحدى الصفتين ابتدأ، أو بجملة مهملة والأخرى معجمة، وبأي الجملتين ابتدأ واختتم.

فصل: التشريع: أو الترشيح: أو التوأم: هو بناء البيت على قافيتين يصح المعنى عند الوقوف على كل منهما.

وذلك: أن يبني الشاعر أبيات قصيدته على وزنين من أوزان الشعر وقافيتين، فإذا وقف من البيت على القافية الأولى كان شعرا مستقيما من وزن على عروض، وإذا أضاف إلى ذلك ما بني عليه شعره من القافية الأخرى كان أيضا شعرا مستقيما من وزن آخر على عروض، وصار ما يضاف إلى القافية الأولى للبيت كالوشاح.

والتشريع لا يكاد يستعمل في الكلام المنثور المسجوع إلا قليلا وليس من الحسن في شيء، واستعماله في الشعر أحسن منه في الكلام المنثور. ولا يأتي إلا بتكلف زائد وتعسف، وحسنه منوط بما فيه من الصناعة لا بما فيه من البلاغة والبراعة، ومن ثم لا يحسن إلا إذا كان يسيرا.

باب السرقات

فصل: والباب باب متسع جدا لا يقدر أحد من الشعراء أن يدعي السلامة منه غالبا، وفيه أشياء غامضة إلا على الحاذق بالصناعة، وأخر واضحة لا تخفى إلا على جاهل مغفل، ولست تعد من نقاد الشعر حتى تميز بين أصنافه وأقسامه وتحيط علما برتبه ومنازله، وتفرق بين متشابهه وبين المشترك الذي لا يجوز ادعاء السرق فيه، والمتبذل الذي لا أحد أولى به من الآخر، والمختص الذي قد حازه المبتدئ فملكه.

فالتكال الشاعر على السرق بلادة وعجز، وتركه كل معنى سبق إليه جهل، والمختار له أوسط الحالات.

واعلم: أن اتفاق القائلين إن كان في الغرض على العموم، كالوصف بالشجاعة والسخاء والبلادة والذكاء، فلا يعد سرقة ولا استعانة ولا ما في المعنى، فإن هذي الأمور متقررة في النفوس، متصورة في العقول، يشترك فيها الفصيح والأعجم، والشاعر والمفحم.

وإن كان في وجه الدلالة على الغرض، وما ينقسم إلى أقسام كثيرة: وما منها: التشبيه بما توجد الصفة فيه، على الوجه البليغ، ومنها ذكر هيئات تدل على الصفة لاختصاصها بمن له الصفة، كوصف الرجل حال الحرب بالابتسام وسكون الجوارح وقلة الفكر، ووصف الجواد بالتهلل عند ورود العفاة والارتياح لرؤيتهم، ووصف البخيل بالعبوس وقلة البشر، مع سعة ذات اليد، ومساعدة الدهر.

فإن كان مما لا ينال إلا بفكر، ولا يصل إليه كل أحد، فهذا الذي يجوز أن يدعى فيه الاختصاص والسبق، وأن يقضى بين القائلين فيه بالتفاضل، وأن أحدهما فيه أفضل من الآخر، وأن الثاني زاد على الأول أن نقص عنه. وهو ضربان: أحدهما: ما كان في أصله خاصيا غريبا، والثاني ما كان في أصله عاميا مبتذلا، لكن تصرف فيه بما أخرجه من كونه ظاهرا ساذجا إلى خلاف ذلك.

والسرقة: نوعان: ظاهر، وغير ظاهر، فالظاهر النسخ والانتحال، وهو أخذ المعنى كله إما مع اللفظ أو بعضه وإما وحده، فإن كان المأخوذ اللفظ كله من غير تغيير فهو مزموم مردود، لأنه سرقة محضة، إذ لا معذرة فيه.

والإغارة أو المسخ إن كان مع تغيير لنظمه أو كان المأخوذ بعض اللفظ، فإن كان الثاني أبلغ من الأول لاختصاصه بفضيلة كحسن السبك أو الاختصار أو الايضاح أو زيادة معنى فهو ممدوح مقبول.

وإن كان دون الأول في البلاغة فهو مذموم مردود.

وإن كان مثله فالخطب فيه أهون. وصاحب الثاني أبعد من المذمة، والفضل لصاحب الاول.

ومن الضرب: ما هو قبيح جدا، وهو ما يدل على السرقة باتفاق الوزن والقافية أيضا.

والإلمام أو السلخ: إن كان المأخوذ المعنى وحده، وهو على ثلاثة:

وغير الظاهر: فمنه أن يتشابه المعنى الأول، ولو كان أحدهما نسيبا والآخر مديحا أو هجاء وافتخارا أو غير ذلك.

والنقل: وهو أن ينقل معنى الأول إلى غير محله.

ومنه أن يكون معنى الثاني أشمل من معنى الأول.

ومنه القلب: وهو أن يكون معنى الثاني نقيض معنى الأول.

ومنه أن يؤخذ بعض المعنى ويضاف إليه زيادة تحسنه.

وهذي الأنواع ونحوها أكثرها مقبولة، ومنها ما أحرجه حسن التصرف من سبيل الأخذ والاتباع، إلى حيز الاختراع والابتداع، وكلما كان أشد إخفاء كان أقرب إلى القبول.

وهذا كله إذا علم أن الثاني أخذ من الأول، وهذا لا يعلم إلا بأن يعلم أنه كان يحفظ قول الأول حين نظم قوله، أو بأن يخبر هو عن نفسه أنه أخذه منه، لجواز أن يكون الاتفاق من قبيل توارد الخواطر، أي مجيئه على سبيل الاتفاق من غير قصد إلى الأخذ والسرقة.

ولهذا لا ينبغي لأحد بَتُّ الحكم على شاعر بالسرقة ما لم يعلم الحال، وإلا فالذي ينبغي أن يقال: قال فلان كذا وقد سبقه إليه فلان فقال كذا. فيغتنم به فضيلة الصدق، ويسلم من دعوى العلم بالغيب ونسبة النقص إلى الغير.

فصل: الإقتباس: أن يضمن المتكلم منثوره أو منظومه شيئا من القرآن أو الحديث النبوي الشريف، على وجه لا يشعر بأنه منهما:

فمثاله من القرآن في النثر: "فلم يكن كلمح البصر أو هو أقرب. حتى أنشد فأغرب.

وقال الحريري: أنا أنبئكم بتأويله، وأميز صحيح القول من عليله.

ومثاله من الحديث في النثر: "قول الحريري نفسه: "شاهت الوجوه، وقبح اللكع ومن يرجوه".

هذا: والإقتباس ضربان: ضرب لا ينقل فيه اللفظ المقتبس عن معناه الأصلي إلى معنى آخر، وضرب ينقل إلى معنى آخر.

والإقتباس: مقبول: وهو ما كان في الخطب والمواعظ. ومباح: ما يكون في الغزل والرسائل والقصص. ومردود: وهو ما كان في الهزل.

فصل: الايداع: أن يعمد الشاعر إلى شطر بيت لغيره، سواء كان صدرا أو عجزا، فيودعه شعره بعد أن يؤطيء له الشطر الآخر توطئة تناسبه بروابط ملائمة، بحيث يظن السامع أن البيت بأجمعه له.

فصل: الاستعانة: أن يستعين الشاعر في أثناء نظمه أو الناثر في أثناء نثره، ببيت تام لغيره، خلافا للايداع والتضمين.

فصل: حسن التضمين: وهو أن يضمّن الشاعر شيئا من شعر الغير في شعره مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهورا لدى نقاد الشعر وذوي اللبس.

وهو تام: أن يضاف بيت كامل إلى قصيدة على نحو أنه منها، وهو ليس كذلك.

ومجزوء: أن يضاف مصراع من بيت إلى قصيدة ليلاقي أخاه على نحو أنه منها، وهو ليس كذلك.

ومحرّف: أن يضمن الشاعر شيئا من شعر الغير في شعره بعد تغيير يجزيه على اللفظ الأصلي، على أن لا يكون التغيير سببا لضياع المعنى.

ومقلوب: أن يأخذ الشاعر معنى من شاعر آخر، ويقلبه إلى عكس معناه في شعره.

وأحسنه ما زاد المضمن في كلامه نكتة لا توجد في الأصل كالتورية والتشبيه.

فصل: الموارد‌ة، أو التوارد: أن يتوارد الشاعران على بيت واحد، أو بعض بيت، بلفظه ومعناه.

هذا: فإن كان أحدهما أقدم على الآخر وأعلى رتبة في النظم حكم له بالسبق، وإلا فلكل منهما ما نظمه.

فصل: العِقد: وهو نظم النثر مطلقا لا على وجه الإقتباس، ومن شروطه أن يؤخذ المنثور بجملة لفظه، أو بمعظمه، فيزيد الناظم فيه وينقص ليدخل في وزن الشعر.

فصل: الحل: وهو نثر النظم، وإنما إذا كان جيد السبك، حسن الموقع.

فصل: التلميح: هو الإشارة إلى قصة معلومة أو شعر مشهور، أو مثل سائل من غير ذكره، قال الله تعالى: {هل ءامنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل}. أشار يعقوب في كلامه هنا لأولاده بالنسبة إلى خيانتهم السابقة في أمر أخيهم يوسف.

وهذا ما أراد الله لكم مني الإخوان صنوان وغير صنوان، ونسأله تعالى العفو والعافية والشفاء الدائم، إنه العفوُّ الكافي والغفور الشافي وهو المعافي، وأسألك أيضا تباركت وتعاليت بلسان التضرع والخشوع والتذلل والخضوع العزيز الحكيم أن تولي مستأمر ولايتي، وتعزه، فإنك تؤتي الملك من تشاء وتعز من تشاء وبيدك الخير إنك على كل شيء قدير ، وتذل الأمير الحال وتخزله، فإنك تذل من تشاء، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وهو حسبي ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير. والسلام.

يوسف المسعود فوفورى